قصائد للشاعر مظفر النواب

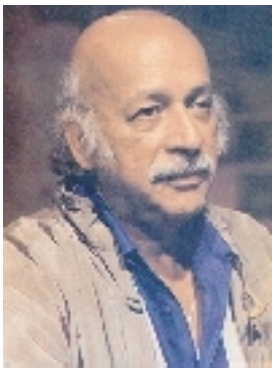

قائمة المحتويات

URL: http://www.angelfire.com/mn/modaffar

إذا كان لديك قصائد للشاعر مظفر النواب او حوارات او مقالات
يرجى إرسالها على العنوان التالي:

Emale: modaffar@myrealbox.com

الإصـدار الثانـي

قائمة المحتويات

المسلخ الدولي وباب الأبجدية	٣
قراءة في دفتر المطر	٥
في الحانة القديمة	٨
اعترافتان في الليل والاقدام على ثالثة	٩
وتريات ليلية	١١
من الدفتر السليل الخصوصي لايمان المغنيين	١٣
الى الضابط الشهيد ابن مصر..	١٦
بكائية على صدر الوطن	١٧
ثلاثة أمنيات على بوابة السنة الجديدة	٢٠
يا قاتلتي	٢١
الخوازيق	٢٣
الرحلات القصية	٢٤
بيان سياسي	٢٦
اللون الرمادي	٢٧
مرثية لأنهار من الحبر الجميل	٢٨
جسر المباهج القديمة	٢٩
أيّها القبطان	٣٠
عروس السفائن	٣٣
البراءة	٤٢
يا ريحان	٤٣
زرازير البراري	٤٦
"التأجج" لم ينطفأ والجمالي باق في ذاكرة الناس	٥١
تشكيل بالطين ونحت بالصخر	٥٤
مظفر النواب وحرارة الشاعر	٥٧
شهادة عابرة في شاعر ليس عابراً	٥٨
مظفر النواب.. شاعرية أصيلة	٥٩
"الصوت والصدى"	٦٠
مظفر النواب شاعر أرهقه التحديق	٦٢
أنشد.. وغنى.. وبكى.. وصفقنا له كثيراً	٦٤

المسلخ الدولي وباب الأبجدية

مظفر النواب

تعلل فالهوى علل
وصادف أنه ثمل
وكاد لطيب منبعه
يشف
ومانع الخجل
وأسرف في الهوى ولهاً
فأسرف شيبه الحجل
وفيما كان في حلم
تقاطر حوله المحل
وسافر صحبه في رحلة الدنيا
وما وصلوا
ولما أيقظته الريح
ضاقت بالشجى الخيل
فما يبكي ولكن
لو بكى
يرجى له أمل
تفرد صامتاً مراً
ومنه يقطر العسل
فما خلل بهذه الدنيا
ولكن كلها خلل
ذئاب كلما سمت جريحاً
بينها أجل
أطالت من مخالبها
وصارت فيه تقتتل
بمدأبه كذلك
كيف دعوى
يسلم الحمل
وكيف يقال أن الحكم
للأغماد ينتقل
سفاهات .. وأسفهها
ضمير تحته عجل
يفلسف ثم ينقض
ثم لا عقم
ولا حمل
مزالق في مزالق
يرتشي فيها
وما زلل
بمختصر العبارة
أنه عهر تركب فوقه دجل
طباق أو جناس .. أو مراحل
كلها حيل
فإن لم تقدحوا ناراً
فكيف يراكم الأمل
فإن قدحت فكونوا لبها
فتظل تشتعل
ففي ليل كهذا تكثر الضوضاء ..
والجمل
وما نظروا هذا الحضيض
وهذه العلل
قضيتنا وان عجنوا .. وان صعدوا ..
وان نزلوا
لها شرح بسيط واحد .. حق
لم الهبل ؟
لماذا ألف تنظير
ويكثر حولها الجدل
قضيتنا لنا وطن
كما للناس في أوطانهم نزل
وأحباب .. وأنهار .. وأجداد ..
وكنا فيه أطفال .. وصبياناً
وبعض صار يكتهل
وهذا كل هذا الآن محتل ومعتقل
قضيتنا سنرجع او سنفنى .. مثلما
نفنى
ونقصف مثلما قصفوا .. ونقتل
مثلما قتلوا
فإرهاب بعنف فوق ما الإرهاب ثوري
يمينا هكذا العمل
أقول ويمنع الخجل
بشج العين يكتحل
وكيف عروسكم حصص
وحصتكم بها نغل
أراهنتم على جمل بمكة
تسلمون ويسلم الجمل
غفا جرح فأرقه
بماذا قد غفا كهل
وأنب قلبه
ما كان عشق فيه يكتمل
وكاد لما تصبى وإلتقت في روحه
السبل
تطيب بريقه القبل
وأطيبهن تتصل
ولكن في قرارته
هموم ما لها مقل
كما قطط ولائد في عماها
والعمى كلل
تذكر أهله فقضى
فكابر دمعه الخضل
وكاد يجوب لولا
تمسك الآمال والحيل
وعاتب صامتاً
لو كان يحكي إنما الملل
فما أحبابه يوماً بأحباب
ولا سألوا
وما مسحوا له دمعاً
كما الأحباب
بل عزلوا
ونقل قلبه لكنهم كانوا
هم الأول
فلم يعدل بنخلة أهله الدنيا
فنخلة أهله الأزل
وماؤهم الذي يروي
وماء آخر بلل
وحبره الذي نصف الهوى في قلبه
وحل
يخط عدوه من وطنه له شبراً
فينتقل
طباق .. او جناس .. او مراحل
كلها حيل
قضيتنا وان نفخوا الكلى
وشرارهم جبل
وصاغوا من قرارات
وان طحنوا .. وان نخلوا
لها درب مضيء واحد رب
فا هبل .. ولا لات .. ولا عزى .. ولا لف
ولا جدل
قضيتنا لنا أرض قد أغتصبت
وكنا عزلاً لا نعرف السوق البرجوازية
في الدنيا
ولا ما تصنع الأموال والحيل
وطالبنا فكان قرار تقسيم
وطالبنا فصرنا لا جئين وخيمة
جعنا .. عرينا ..
ثم طالبنا فأصبح كل شبر مسلخاً
أما الآن لا طلبا ولكن
تحكم السكين .. تختزل
يميناً انه درب الى "حيفا "
غداً يصل
تعافى جرحه من طهره وبدى
سيندمل
ولكن نكأة ثغرته
حتى كاد يشتعل
فغص بدمعه مضضاً

وكابر حيث يحتمل
وعلل نفسه وتعلة
فيما انتهى محل
فما شيء كعشق ينتهي
لا يرتجى أمل
أعدله فينخذل .. وأخذله فيعتدل
تغلب طبعه عن ثابت فيه
وينتقل
فبعض عاشق يصحو
وبعض عاشق ثمل
وكاد لولا كاد
لا دبر ولا قبل
وأمسكه هوى لبلاده ما
بعده غزل
عراقي هواه وميزة فينا الهوى
خبل
يدب العشق فينا في المهود
وتبدأ الرسل
ورغم تشردي
لا يعتريني بنخلة خجل
بلادي ما بها وسط
وأهلي ما بهم بخل
لقد أرضعت حب القدس
وأئتلقت منائرها بقلبي
قبل ان تبكي التي قد أرضعتني
وهي تحكي كيف ينتزع التراب الرب
من قبضات من رحلوا
وتغتصب الذوائب ثم ترمى
فوق من قتلوا
وكيف مشت مجنزرة
على طفل .. وكيف مسيرها مهل
وكيف تداخلت شرفاتها بعموده
الفقري في حقد ..
وصار اللحم في الشرفات ينتقل
فلم يسمع له صوت
وفي خديه ما زالت ظلال المهد
والقبل
تغير صوت أمي
واعترى كلماتها الشلل
وقالت لي قضيتنا .. وغصت بالدموع
فقلت يا أمي : قضيتنا الدمار
أو التراب الرب
لا وسط ولا نحل
قبيل ذهابكم للمسلخ الدولي وفداً
أرسلوا السكين وفداً
أنها أمل
سيسمع صوتها
وتشق درباً للرجوع
وينتهي الخطل
بذلت الروح حتى قيل يا مولاي
يبتذل
وقد صار الفراق عوا جديداً
وهو متصل
فما أدري سلوت أم إبتدأت
تشابه الزعل
وان من الهوى ما ليس عشق
انما سبل
وساجنتي محجرة ببيت في العراق
علائم فيها الفم العذري
اغفاء شديد الوصل بين الحلمتين
اطالة في الخصر ما طال الهوى
خصر وحزن توأمين
وطقس عشق ليس يعتدل
ورغم تشردي لا يعتريني بدجلة خجل
فلست أدري ليومي
انما ما يمحض الأمل
فما جوعي مذلي
او وعيد
كلها طفل
وأشهر كل ظفر في كياني
حينما النهاز يرتجل
وقد يفتي بنفيي من هنا فأظل
أفنيهم
وأرتحل
أعيط بكل نهاز وجيبي .. وهم شلل
قضيتنا سلام بالسلاح ...
فثم سلم حفرة
وسلامنا جبل
وأن العنف باب الأبجدية
في زمان
عهره دول
قبيل ذهابكم للمسلخ الدولي وفداً
أرسلوا السكين وفداً
ينتهي الخلل ...

قراءة في دفتر المطر

مظفر النواب

" انني أحمل قلبي كبرتقالة مضى الموسم ولم تنضج ، وأعطت زهر البرتقال ، وفيها رائحة شمس البارحة.
الى أحمد صديقاً من الشياح"

في الليل ، يضيع النورس في الليل
القارب في الليل
وعيون حذائي تشتم خطى إمرأة في الليل
إمرأة ، ليست أكثر من زورق لعبور الليل
يا امرأة الليل ، أنا رجل حاربت بجيش مهزوم
في قلبي صيحة بوم
وأخيراً ...
صافح قادتنا الأعداء ، ونحن نحارب
ورأيناهم ، ناموا في الجيش الآخر ، والجيش يحارب
والآن سأبحث عن مبغى ، أستأجر زورق
فالليل مع الجيل المكسور طويل

في مقهى الزيتونة ، شباك للغرباء
تبكي الموجة فيه
أهلي فيه
ورجال فيه يصيدون أصابع أطفال غرباء
مازلنا بشراً ضعفاء
نبحث عن شوق ، لا يتعبنا كالشوق
ونحب ونكره حد الشوق
ورأيناهم ناموا في الجيش الآخر ، والجيش يحارب
وبحثنا عنهم كالمبغى
يا شباك الزيتونة .. أبحث عن مبغى
أبحث عن طين ...

يا زهرة بيتي ، يا وطني ،
أأظل هنا حزناً مبعد !
أأظل على خرسي ، تابوت قصاصات مجهد !
لا أعرف حتى خشبي ..
لا أعرف أين سيتركني الجزر ،
وليل الماء على جرحي ...
لا أعرف كيف يمر الإنسان بدرب الدمع
لا أعرف أيأس ...
ألخضرة دبت في خشبي والمنفى
وسمعت شموعاً تتلقح في قلبي
وصراخاً أهمل أعواماً لا يغضب .. لا يبكي ..
وتواطأت مع الأيام ، نسيت ، نسيت وفاجأني .

- أنت ؟
وفي هذا الليل
أنت ! أنا لا أعرف وجهك ، لا أعرف : "أنت"
أعواماً بعدك ، ما كان لبيتي باب
أعواماً .. ألهث .. ألقاك وراء النوم ، وأنت سراب
فأنا أحببتك في زهرة بيتي ، في وطني
وسمعت شموعاً ، تتوهج في قلبي .

ولماذا بعتم لغة البيت ، وفيها "الشياح" وأهلي .. وأخي في مطر الليل !
ولماذا استأجرتم لغة أخرى !
وأبحتم وجه مدينتنا لليل !
وتركتم في الهجر حروفي
كأصابع أيتام في الشباك
كزوايا فم طفل يبكي
من أقصى الحزن أتيت
كي أغلق أبواب بيوت المهزومين
وأبشر بالإنسان ... وبالإنسان .. و "بالشياح"
وبمن لا يملك سقفاً ، سيكون له سقف ، في هذي الدنيا .. وينام .
لكن .. واخجلي من بيت مهزوم
وسيخجل من باعوا لغتي ،
فأنا مكتوب في الأرز وفي العسل الأخضر في التين
وأنا أطعم بالسكر نخلات "الكوفه"
والأطفال على رابع جسر في "العشار"
أنا لا أملك بيتاً أنزع فيه تعبي
لكني كالبرق أبشر بالأرض
وأبشر أن الأمطار ستأتي
وستغسل من لوحتنا ، كل وجوه المهزومين
وستغسل من يبحث عن خيبته عن مبغى .
وستغسل بالمطر الدافئ جنح النورس ،
وبيوت أحبتنا ..
والحرف الأول في لغتي .

يا زهرة بيتي ، يا وطني ، أمطرني ..
حزن بلادي فوق الماء
ماذا غير الزرقة تنمو فوق الماء .
وخضار أصابع أطفال غرقى
تنمو في الطحلب أياماً ... وتموت .
الماء طريق للغرباء ...
الماء طريقة عرسي
والزهرة .. والرشاش ..
وخبز الصمغ عشاء النجمة في الصمت ...
وعشائي ..
الماء طريق للماء
وبويت ، لا ندرس فيه
وننشف خديه إذا ابتلا ..
ونرافق فانوس النوم

من أيام يا زهرة بيتي
فارقت نعاسي
وتواطأت مع الأنهار وكل جسور الناس
إليك .. إليك ..
ونسيت
نسيت بأنك ماء في وطني .

إسمك في الليل يسيل الصمغ عن التفاح
نهر ينتاب الحر ليالي الصيف
ويواعد كل الأمطار
ويواعدني ...
الصحو يواعدني ؟
وكذبت بقلبي
كذبت كنشرة أخبار
يكذب .. يكذب .. صحوك يكذب بإستمرار
بإستمرار ..
فكأنك غربة ..
وكأنك كنت رصيفاً في الغربة
وكأنك مألوف في الغربة
وكأنك ... لا أدري ، .. غربة
بلل فيك ، كماء الليل على الأشجار
إسمك لي بيت في الليل
ونسيت ، لسرعة قلبي ، كل نوافذه مشرعة لليل
نسيت .. نسيت .. وأيقظني ..
ريح الشباك على وطني
يا وطني ، وكأنك غربة
وكأنك تبحث في قلبي عن وطن أنت
ليؤويك .
نحن اثنان بلا وطن .. يا وطني .

كالبارحة اشتقت ومرت في قلبي ،
طرقات مدينتنا .. تبكي
الدمع على أرصفتي يبكي .. يبكي
ومدينة أيامي ، باعوها ، في الساحة تبكي
يا امرأة الليل أنا رجل ، باعوا لليل مدينة أيامي
باعوني ككتاب يطبع ثانية . باعوا أحلامي
نامي ، يا امرأة الحزن ، فمن يبحث عن انسان ؟
من يعرف جندياً في هذي الغربة
من ينصت للحزن المتأخر
من يعرف وجهي في السوق ؟
يوشك زيتك يطفئني !
ما زيتك من زيت ؟
يا قمحاً يأتي
يشمس شباك البيت .
لو كنت عرفت بأنا نملك بيتاً ، خلف ظلام الدنيا
وصغارا مثلك في البيت ،
لو كنت عرفت سلاحاً
لو كنت عرفت لماذا نتعاطى الصمت وحزن الإصرار
لو كنت عرفت معسكرنا ، وقبور الماء وصوت الليل
ورأيت وجوه رفاقي التسعة قبل النار
لو كنت عرفت لماذا يسكن جوع في الأهوار
جوع وثلاثة أنهار
لو كنت عرفت الخجل المر ،
على جبهة ثوري ينهار
لعرفت الثورة
لعرفت لماذا الثورة
لعرفت بأن الثائر لا ييأس من دفع الصفر بوجه الليل
لعرفت ، لماذا أبحث عن مبغى
لعرفت لماذا أبحث في وجه الناس عن الإنسان
في وجهك أبحث عن إنسان .. عن إنسان ..
عن إنسان .

أبحث في طرقات مدينتكم عن وجه يعرفني
أبكي كالبوم المجروح ، على جدران الليل
والبارحة اشتقت ، ومرت في قلبي كل خرائبها..
تبكي ..
يا مدن الناس ... مدينتنا تبكي .

المنقذ يأتي ... كشموع تحت الماء
سنتان تعالم حزناً تحت الماء
سنتان نمت أسماء القتلى ، اتخذت أسماء
ونما النسيان ..
ونما للمنقذ ... درب وصليب من أشنات خضراء
حزين قلبي للمنقذ .
مثل كتاب الأحزان
مثل كتابات الريح
مثل رثاء النصر ، إذا ساوم قلب القائد
وكما يقرأ في المبغى ، قرآن
وحزين قلبي ...
كحديث العمر الذاهب ،
للمنقذ ..
في طرقات مدينتكم ، حقرتم حزني ..
المبغى في ليل مدينتكم أكثر تسلية من حزني
القبر بليل مدينتكم ، أكثر أفراحاً
وأنا من أقصى الحزن أتيت أبشر
بالإنسان وبالمنقذ
وأخاف على أيام مدينتكم منكم
من لغة أخرى ..

في الطرقات المشبوهة بالإنسان ، وزهر الصبر ، اتسخت روحي
يا منقذ .. واتسخت روحي
وتعذب حتى وسخي ...

عانيت ، لأنك تعرفني في الغربه ..
عانيت ، لأنك في ثقة متعبة ، كالشك
وتعاملت مع الغربة .
عانيت .. وماذا تدري ؟
ولماذا تدري ؟
بالأمس ، ذهبت ..
على وجهك حزن الأسماك
وسألت ... سألت ...
وعنك سألت الصيادين ،
سألت لماذا لا تدري ؟
وحملت صليبك : لا تتركني في النسيان
لا تتركني ، فالشك سيقتل في الإنسان

لا تتركني ، أفلست المنقذ ؟
أفلست رفيق المتسخين
ولأجل صليبك ، أورق في الليل ،
على الأبواب
ولأجل صليبك نمت مع المبغى ، ووجدت صليبك يبكي ندماً في الشباك
لا تتركني ، فأنا وحدي ،
والناس هنا في غربه .

في الحانة القديمة

مظفر النواب

المشرب ليس بعيداً.. ما جدوى ذلك
أنت كما الاسفنجة تمتص الحانات
ولا تسكر
يحزنك المتبقي من عمر الليل بكاسات الثملين
لماذا تتركوها؟
هل كانوا عشاقاً؟
هل كانوا لوطيين بمحض إرادتهم كلطاءات القمة؟
هل كانت بغي ليس لها أحد
في هذي الدنيا الرثة؟
وهمست بدفء في رئتيها الباردتين..
أيقتلك البرد؟
أنا يقتلني نصف الدفء.. ونصف الموقف أكثر
سيدتي.. نحن بغايا مصرك
يزني القهر بنا.. والدين الكاذب.. والفكر الكاذب..
والخبز الكاذب..
والأشعار.. ولون الدم يزور حتى في التأبين رماديا
ويوافق كل الشعب.. او الشعب
وليس الحاكم أعور
سيدتي.. كيف يكون الإنسان شريفاً
وجهاز الأمن يمد يديه بكل مكان
والقادم أخطر
نوضع في العصارة كي يخرج منا النفط
نخبك.. نخبك سيدتي
لم يتلوث منك سوى اللحم الفاني
فالبعض يبيع اليابس
والأخضر
ويدافع عن كل قضايا الكون
ويهرب من وجه قضيته
سأبول عليه وأسكر.. ثم أبول عليه وأسكر
ثم تبولين عليه ونسكر
المشرب غص بجيل لا تعرفه.. بلد لا تعرفه
لغة.. ثرثرة.. وأمور لا تعرفها
إلا الخمرة بعد الكأس الأولى تهتم بأمرك
تدفئ ساقيك الباردتين
ولا تعرف أين تعرفت عليها منذ زمان
يهذي رأس بين يديك
شيء يوجع مثل طنين الصمت
يشاركك الصمت كذلك
بالهذيان.. فتحدق
في كل قناني العمر لقد فرغت
والنادل أطفأ ضوء الحانة مرات
لتغادر
كم أنت تحب الخمرة.. واللغة العربية.. والدنيا
لتوازن بين العشق وبين الرمان
هذى الكأس واترك حانتيك المسحورة
يا نادل لا تغضب فالعاشق نشوان
واملأها حتى تتفايض فوق الخشب البني
فما أدراك لماذا هذي اللوحة للخمر..
وتلك لصنع النعش.. وأخرى للإعلان..
عفواً يا مولاي فما أخرج من حانتك الكبرى
إلا منطفأً سكران
أصغر شيء يسكرني فكيف الإنسان
سبحانك كل الأشياء رضيت سوى الذل
وأن يوضع قلبي في قفص في بيت السلطان
وقنعت يكون نصيبي في الدنيا.. كنصيب الطير
لكن سبحانك حتى الطير لها أوطان.. وتعود إليها
وأنا ما زلت أطير.. فهذا الوطن الممتد من البحر الى البحر
سجون متلاصقة
سجان يمسك سجان....

اعترافتان في الليل والاقدام على ثالثة

مظفر النواب

في الهجر
جفاني اللؤلؤُ
في الوصلِ
رعاني الصُدَفُ
كن أنت حضوري
مولاي!
تعذبني الصدف
لوثني عسلُ الليلِ
وغامَ قميصي الصيفي
ونهنهني السعف .
وتمارس كلُّ فراشاتِ المرج
بأكمامي
شغل الليلِ
ومن عبقي
شبقاً ترتشفُ
أسكُبهنّ ثُمالات
شف مفاصلهنّ
نزيفُ الألقِ القمريّ
على مفصل ماء ،
بالسرة يرتجِفُ
وأمد يدي مولاي!
الى سُرتِها
تتغارق ...
في الطيب الشاميّ
ولا ترسو
الا أتلفني
التّلفُ
تطردني البابُ
وتدخل في جيبي
بالمفتاحِ
بأن فيها أنصرفُ .
مولاي!
أدرت المفتاح ففاضتْ
كل زوايا الحجرةِ ،
بالمسكِ
وكادت كالنحلة تنتصف .
نهرتني من خديَّ كالطفل ،
دخلتُ حجيرتها
ما أوسع هذا التصغيرَ
وأرطبَهُ
من صادف تصغيراً رطباً في
النحوِ
تفرغت لهُ
وبعون الله سأحترِفُ .

* * *

أتوبُ
وصمتي يعترِفُ .
كيف الصبر على جسد
كان تنتأ زهرة لوز
فاضطرب الطلُّ الخالق عشقاً
وتهيجت النُطَفُ
واكتظَّ حليب اللوز فهيماً.
وانسحب الشرشف تحت النهدين
وشفشف على ضلع فاترةٍ
تتلجلج فيها الألوانُ المائيةُ
والشغف .
أرجعتُ وثارةَ شرشفها الخمريِّ
وغطيتهما
أقسم عذرياً ...
لكنهما مساني مساً
مولاي! لقد مساني مسَّ "النُوكةِ"
فاختلط الفُستقُ والشرف
لم تر أعيننا انفسنا
لكنْ مولاي!
سمعنا زقزقةً بين الجسدين
كأن عصافيرَ الدنيا ،
تتأهبُ للصبح
وليس لها هدفُ
فيم أخذتَ حكايات زشاةِ الليلِ
أما كفروا !
شاركتُك بالخلق !!!
وما شاركت سوى فيما يتنزلُ من حُسنك
في
وترتفع السدف

* * *

ضيع بيتك
أنصفني ..
لا ألقاكَ
ولا يغازلنا الصمتُ
ويحكي المشمشُ والتوت البريُّ
وتُختلق الطُرفُ .
ضيّعه
فأشتاق الى لا شيءَ
انا أشتاق الى لا اشياءِك أيضاً
تذهلني
أنتَ
ولا أنت

وأجهلُ أو أكتشفُ .

* * *

ما غربة روحي ترفُ .
دقوا كفي بمسمارين من الصدأ الحامضِ
فارتج صليبي ...
وانهاروا من ألمي
سألوا قدميَ الغفرانَ
وساح المكياجُ على أوجههم
والشرفُ
أينكَ مولاي!
سكوتُك أوجع من صلبي
وندائي في القفرِ.
كأن غزالاً يُسلخُ في
حُمى العشقِ
يشابك جفنيه الوطف
هذا ثالثُ صلب
أخشى في الرابعِ
أكفرُ ، يا مولاي! ،
بكل الأشياءِ
وأنت بقلبي تنعطف
أرذال كانوا مولاي!
اتفقوا ساعة اعدامي كالجرذان
وإذ أعدمت اختلفوا
وكآخرين قوادين لقوا رزقاً
أسفوا للمهنة.
كم خجلت مهنتهم منهم
وتملكها الأسف
مولاي! شموعك ترتجفُ
سامحك العشقُ
أبالطينِ يشكُ الخزف
كن انت حضوري الدائم في .
تعذبني فيك الصُدَفُ.

وتريات ليلية

مظفر النواب

الحركة الأولى

في تلك الساعة من شهوات الليل
وعصافير الشوك الذهبية
تستجلي أمجاد ملوك العرب القدماء
وشجيرات البر تفيح بدفء مراهقة بدوية
يكتظ حليب اللوز
ويقطر من نهديها في الليل
وأنا تحت النهدين ، إناء
في تلك الساعة حيث تكون الأشياء
بكاءً مطلق ،
كنت على الناقة مغموراً بنجوم الليل الأبدية
أستقبل روح الصحراء
يا هذا البدوي الضالع بالهجرات
تزوَّد قبل الربع الخالي
بقطرة ماء

كيف أندسَّ بهذا القفص المقفل في رائحة الليل!؟
كيف أندسَّ كزهرة لوزٍ
بكتاب أغانٍ صوفية!؟
كيف أندسَّ هناك،
على الغفلة مني
هذا العنب الوحشي الملتهب اللفتات
هروباً ومخاوف
يكتبُ فيَّ
يمسح عينيه بقلبي
في فلتة حزن ليلية
يا حامل مشكاة الغيب!
بظلمة عينيك!
ترنَّم من لغة الأحزان،
فروحي عربية

يا طير البرِّ
أخذت حمائم روحي في الليل ،
الى منبع هذا الكون ،
وكان الخلق بفيض ،
وكنتَ عليّ حزين
وغسلت فضاءك في روح أتعبها الطين
تعب الطين ،
سيرحل هذا الطين قريباً ،
تعب الطين

عاشر أصناف الشارع في الليل
فهم في الليل سلاطينْ
نام بكل امرأة
خبأ فيها من حر النخل بساتينْ
يا طير البرقِ! أريد امرأةً دفء
فأنا دفء
جسداً كفء فأنا كفء
تعرق مثل مفاتيح الجنة بين يديَّ وآثامي
وأرى فيك بقايا العمر وأوهامي
يا طير البرق القادم من جنات النخل بأحلامي!
يا حامل وحي الغسق الغامض في الشرق
على ظلمة أيامي
أحمل لبلادي
حين ينام الناس سلامي
للخط الكوفيّ يتم صلاة الصبح
بافريز جوامعها
لشوارعها
للصبر
لعليٍّ يتوضأ بالسيف قبيل الفجر
أنبيك عليّاً
مازلنا نتوضأ بالذل
ونمسح بالخرقة حد السيف
ما زلنا نتحجج بالبرد وحر الصيف
ما زالت عورة عمرو العاص معاصرةً
وتقبح وجه التاريخ
ما زال كتاب الله يعلَّقُ بالرمح العربية
ما زال أبو سفيان بلحيته الصفراء ،
يؤلب باسم اللات
العصبيات القبلية
ما زالت شورى التجار ، ترى عثمان خليفتها
وتراك زعيم السوقية
لو جئت اليوم ،
لحاربك الداعون إليك
وسموك شيوعية

. . . . . .
. . . . . .
. . . . . .
. . . . . .
أتشهّى كل القطط الوسخة في الغربة
لكل نساء الغربة أسماكٌ
تحمل رائحة الثلج
وأتعبني جسدي
يا أيَّ امرأة في الليل!

تداس كسلة تمر بالأقدام
تعالي!
فلكل امرأة جسدي
وتدٌ عربي للثورة ، يا أنثى جسدي
كل الصديقين وكل زناة التاريخ العربي
هنا أرثٌ في جسدي
أضحك ممن يغريني بالسرج
وهل يسرج في الصبح حصان وحشيٌّ
ورث الجبهة من معركة "اليرموك"
وعيناه "الحيرة"
والأنهار تحارب في جسدي !؟
قد أعشق ألف امرأة في ذات اللحظة،
لكني أعشق وجه امرأة واحدة
في تلك اللحظة
امرأة تحمل خبزاً ودموعاً من بلدي.
. . . . . .
. . . . . .

الحركة الثانية

. . . . . .
. . . . . .
. . . . . .
. . . . . .
وجيء بكرسيّ حُفرت هوة رعب فيه
ومزقت الأثواب عليّ
ابتسم الجلاد كأن عناكب قد هربت
أمسكني من كتفي وقال ،
على هذا الكرسيّ خصينا بضع رفاق
فاعترف الآنَ
اعترف
اعترف
اعترف الآنَ
عرقتُ.. وأحسست بأوجاع في كل مكانٍ من جسدي
اعترف الآن
وأحسست بأوجاع في الحائط
أوجاع في الغابات وفي الأنهار، وفي الإنسان الأوّل
أنقذ مطلقك الكامن في الإنسان
توجهت الى المطلق في ثقة
كان أبو ذرٍّ خلف زجاج الشبّاك المقفل
يزرع فيّ شجاعته فرفضت
رفضت
وكانت أمي واقفة قدام الشعب بصمت.. فرفضت
اعترف الآن
اعترف الآن
رفضت
وأطبقت فمي ،
فالشعب أمانة
في عنق الثوري
رفضتُ
تقلص وجه الجلادين
وقالوا في صوت أجوف:
نترك الليلة..
راجع نفسك
أدركت اللعبة
في اليوم التاسع كفّوا عن تعذيبي
نزعوا القيد فجاء اللحم مع القيد ،
أرادوا أن أتعهد ،
أن لا أتسلل ثانية للأهوز
صعد النخل بقلبي..
صعدت إحدى النخلات ،
بعيداً أعلى من كل النخلات
تسند قلبي فوق السعف كعنقٍ
من يصل القلب الآن!؟
قدمي في السجن ،
وقلبي بين عذوق النخل
وقلت بقلبي: إياك
فللشاعر ألف جواز في الشعر
وألف جواز أن يتسلل للأهواز
يا قلبي! عشق الأرض جواز
وأبو ذرّ وحسين الأهوازي ،
وأمي والشيب من الدوران ورائي
من سجن الشاه الى سجن الصحراء
الى المنفى الربذي ، جوازي
وهناك مسافة وعي ،
بين دخول الطبل على العمق
السمفوني
وبين خروج الطبل الساذج في الجاز
ووقفت وكنت من الله قريباً

من الدفتر السليل الخصوصي لايمان المغنيين

مظفر النواب

على أول الذكريات
تهب رياح الشتاء
وفي أولات المواسم
تمطر شيئاً على الحدس قبل المطر
وتصعد في الجمر رائحة الكستناء
وست البنات التي ضاجعتها الخيول
وقاص البنفسج من روحها
واحتواها القمر
وشيئاً فشيئاً تدب الطراوة في الجفن
يعرق ثانية
كالمراهق حين يعالج أول منعاً
وتعبق فيه اللزوجة
والزهرات الشتائية الأصل
تمطر في الحدس
تكتظ جمجمتي بالشقائق.. والفكر.. والليل
تمطر.. تواكب كشف قميصي
ويعشوشب المفرق الأنثوي الرفيع
المميز لامرأتي بين كل النساء
وتزغب كل الخفايا الخجولة في مغطس الليل
حيث الحفاء الوثير
يؤدي الى سلم لؤلؤي
يؤدي الى حلم
يستفيق على بركتين
وفي البركتين هلام
يشف على وحشة وافتراس
هنا نتكون
والانتفاض اللذيذ يصير حنيناً
فتمطر والشبابيك ليست هنا
والندى الفستقي يمسح وجه ضياع الجنوب
وللتو توجها الكرم.. والتين.. والحب.. والذكريات
على باب هذا الجنوب
لدى كل حلم أبيت
وكل نجوم السماء بنات
ويشتعل الجرح الفراشات
والنوم في برك لا نهائية
يحبس الحسن أنفاسه
اذا يخوض بها والقرى خلفها مطر
وأنا في النوافذ
أتبع طير الصدى
ثم تخفي الطريق القديم دموعي
وتمطر.. تبدو كتابات روحي ثانية
من وراء غبار الخريف
وتورق لاماتها
تورق النون.. والواو.. والراء.. والسين
تورق لاماتها
لم تزل هذه الروح كوفية الخط
مغرمة بانتهاك الطلاسم
بين صفات البنفسج.. والفخذين..
وركب الخيول المحناة صوب بخارى
وخاتمة النوم كعبك
يجتمع الحلم فيه
ويترك في قراءات نوم العصافير
ان العصافير في كرمة
في الجنوب سكارى
أحب الجنوب لشيئين
فيما يبوحان كتمهما قد بذلت القصارى
وأقسى من البوح
كتم يشير إليك
بإصبعه ويدل
وأنت.. وغيرك فيما يبوح حيارى
وحين تنامين يلوي النشوء بأعناقه
وتشف على بعض الغفوات
وفي أولات المواسم يبتدئ العشق
بين النعاج
ويعشق من يفسدون النعاج الرعاة
وحين يروحون في الشرق
أبقى وحيداً وتنتشر الخلوات
وأحلم أمي على صهوة المهر
وأقطف تفاحة
وأخبؤها بين نهديك خضراء
تنضجها الشهوات
وبين الخلائق من يخلقون النواة
وأما الكثير فقد خلقتهم نواة
وتلك معادلة صعبة
وأشد الصعوبات فيها الثقاة
وأني على مطلق الأمر
أعرف كل نواة بتاريخها
وكيف نمد اليها اليدين الحياة
وكنت مع الحلم أحلم
أحمل فانوس كل نهار يجيء
أواصل سكري بالون من غير مزج
ويربكني أن أقوى الخمور الرديء
وأغسل حنجرتي بالنبيذ
ففي القلب حزن جبان.. وحزن جريء
لكم عذبتني الرياح تغير وجهتها
دون سابقة والفراق دنيء

وكم أنت رغم
الوضوح خبيء
وكم أنت مثل جناح الفراشة
في الحلم زاه بطيء
وكم أنت تعشق رأس الحسين الذي فوق رمح
ولا يستريح
تأبى الذوائب مذ ثبتتها الدماء
على غدة أن تزيح
ومن ثبتته الدماء
يزيح
دعوتك أنت المعلم
وان كان علم فتلك
الجروح
ألوف وراءك في الرب سارت
لينهض شيء صحيح
فما نام إلا
الصحيح
يباهي اليسار الصحيح بأنك في قلة قد حملت
السلاح
وغاليت في مبدأ اسمه سلطة الفقراء
وهذا غلو صحيح
يلومون اني أنفخ نار التراث
أنا أرفض الخردوات من الفقراء
ولي أمة طالما كل ناس لهم مدية
لغة طالما لغتي تشعل الأبجديات عشقاً
وصريح أحب زوايا عيون النساء
صريح
وأمقت من يشهرون النصوص سيوفاً
ومن يكسرون السيوف
كلا الإنحرافين ريح
وأمقت من يشهرون الحسين لغير الوصول الى
ثورة
مثلما جوهر الأمر فيه والجنوح
لعل الحسين إذا ما رأى طفلة في شوارع بيروت
تنهش من لحمها الشهوات
وثم شظايا من القصف فيها
سينكر مأساته
والجروح على رئتيه
تطيح
يقولون: من أمها وأبوها
أقول: الجنوب وتاريخه.. والبيوت الصفيح..
وعدت اعترفت
هو الجوع أكبر من آبائنا الثائرين
ومن كان هذا أبوه
تغلب فيه الجموح
متى ما توزع هذي العمارات للفقراء
وتجز ألف انتهازية
والسلاح يقوم أداء لمهمته
سيقوم المسيح
ولست أبشر بالحب الا عنيفاً
وان يستريح على ذلة
وأريح
كفاكم نزوحاً وإلا فما ننتهي
ويسد الطريق على المهطعين النزوح
هناك فداء وليس فداءين
لا تخدعوا بفداء بغير سلاح وكل التخاريج في غير هذا الكفاح
كسيح
ومن أخطأوا ليس عيباً
بل العيب أن تبتلى فوق ذات الصروخ
ولست أخاف العواقب فيما أقول
فإن الشهادة من أجل قول جريء.. ومعتقد
قبة وضريح
اذا كان بعض يفكر في النيل مني
فهذا أنا
لست أملك الا القميص الذي فوق جلدي
وقلبي وراء القميص يلوح
خبرت الخليقة سطحاً.. وعمقاً.. وطولاً.. وعرضا
فكان أكبر درس تلقيته
ان أكون فصيح المحبة والحقد
فالعقل زيف صريح
متى تنهضون
لعنتم على الركض خلف كروش الزعامات
فيما الزعامات باعت دبيحاً.. وحيا
وثم هنالك صفقة أرض
فكونوا على حذر البندقية
فالديك يصيح
بحق السماوات حتى إذا الديك صاح على خطأ
فهنالك نار
وحين تكون الشرارة حقاً وليس كلاما
فإن الهشيم العظيم يصار
اذا كان بعض يجيد سماع الغيوب
سمعت انفجارا
سيأتي ويتبع ذاك انفجار
رثيت الذين تتاح لهم فلتة
ان يكونوا من الثائرين
وناموا على صغرهم خانعين
ويدفنهم في الحجور الغبار
لقد سافر الحلم قاطرة
والشبابيك لا تنتهي.. والوداع استمر
تخالطه نكهة الشمس المتأخر

ثم لمحتك في آخر العربات
ولم ينتظرني القطار.. لقد بالغ الإنتظار
ساورت الشكوك الحمام
وما زلت في سكة الحلم
أشحذ فانوس كل القطارات حتى أطل النهار
وفي أولات المواسم تصبح روحي بدون سياج
ومفتوحة لهباء الشتاء
ولغط السواقي.. وردع الحمام
وينزلق الدمع في القائط من وداعين
نما الى غير ما رجعة في الظلام
وقد نلتقي انما القلب
ودع شيئاً كثيرا
وودع أكثر لما رمته المرامي
لي الله في غربة
ما خفضت الجناح
لغير الأحبة فيها
وفي يقظتي والمنام يفتشني الحزن في كل ليل
فماذا يفتش هذا الغراب الغبي
بهذا الحطام
وفيما أؤذن للجوع
بما في الجماهير
ان السلاح يشق الطريق
اذا ظل تحت احتلال
الشراذم

شبر
ومن هان أمر التراب عليه
فكل التراب يهون..
فما في الضمائر ثمن.. وخمس.. وعشر ...

الى الضابط الشهيد ابن مصر..
مظفر النواب

الذي فجر احدى الطائرات الأمريكية
ومزقته بعدئذ طلقات الرصاص

ليس بين الرصاص مسافة
أنت مصر التي تتحدى
وهذا هو الوعي حد الخرافة
تفيض وأنت من النيل
تخبره ان تأخر موسمه
والجفاف أتم اصطفافه
وأعلن فيك حساب الجماهير
ماذا سيسقط من طبقات
تسمي احتلال البلاد ضيافه
ولست قتيل نظام يكشف عن عورتيه
فقط
بل قتيل الجميع
ولست أبرئ الا الذي يحمل البندقية قلباً
ويطوي عليها شغافه
لقد قبضوا كلهم
وأحقهم من يدافع عن قبضة المال
مدعياً أنها الماركسية
أم العرافة...

بكائية على صدر الوطن

مظفر النواب

في تلك الساعة.. حيث تكون الروضة فحل حمام
في جبل مهجور
وأضم جناحي الناريين على تلك الأحذية السرية
وأريح التفاح الوحشي
يعض كذئب ممتلئ باللذة
كنت أجوب الحزن البشري.. الأعمى
كالسرطان البحري
كأني في وجدي الأزلي
محيط يحلم آلاف الأعوام
ويرمي الأصداف على
الساحل
كم أخجلني من نفسي هذا الهذيان المسرف
بالوجع الأمي
كأني أتنبأ أن بذور اللذة مدت ألسنة خضراء
وشفرات في رحم الكون
وأعطت جملاً أبدية
مولاي لقد عاد حمام الجبل المهجور
يمارس عادته النارية
هل تعرف عادته النارية؟
أما أنت فأصحرت وعرفتك لا تنوي الرجعة !!
أصحرت بلا أي علامات وبلا أي صور
وعرفتك لا تنوي الرجعة
فالقلب تعلم غربته.. وتعلم بالبرق
تعلم ألا ينضج كل النضج
فيسقط بالطعم الحلو.. ويسقط في الطعم
الحلو
وأرق وامتنع النوم علي لأبواق أزليه
عرف المفتاح الكامن في القفل
وما يربطه بالقفل الكامن بالمفتاح
فباحت كل الأشياء
وتضرج قلبي بالأنباء
يا هذا البدوي المسرف بالهجرات
لقد ثقل الداء
قتل ريقك لليل
فلابد لهذا الليل دليل
يعرف درب الآباء
ويقبع بالحزن الناقة بالصحراء
يا هذا البدوي تزود وأشرب ما شئت
فهذا آخر عهدك
بالماء
من مخبر روحي أن تطفأ فانوس العشق
وتغلق هذا الشباك
فإن غبار الليل تعرى كالطفل
وان مسافات خضراء احترقت في الوعي
فأوقدت ثقاباً أزرقاً
في تلك النيران الخضراء
لعل النار أرى
ولعل اللحظة تعرفني
من ذلك يأتي
بين عواء النفس وبين عواء الذئب
وبين غروب النخل يرافقني نصف الدرب
وبعد النصف يقول يرافقني
ناديت بكلتا أذني.. فأوقفت مجاهيل الصحراء
وعيني في الطين
أعدل من قدمي الملوية
والأضواء افترستني
أمسكت على الطين لأعرف أين أنا
في آخر ساعات العمر
رفعت الطين الى الرب
بهذا الدين.. تقربت اليه
فأطرد عاطفتيه
وكانت قبضته تشتعل الآن بنيران سوداء
وكان المطر الآن صباحاً
وانطبقت كل الأبعاد
وصرت كأني صفر في الريح
وصلت الى باب النخل.. دخلت على النخل
أعطتني احدى النخلات نسيجاً عربياً
فعرفت بأن النخلة عرفتني
وعرفت بأن النخلة في عربستان أنتظرتني
قبل الله
لتسأل ان كان الزمن المغبر غيرها
قلت.. حزنت
فأطبق صمت وبكى النخل
وكانت سفن في آخر شط العرب
احتفلت بوصولي
ودعني النوتي وكان تنوخياً تتوجع فيه اللكنة
قال الى أين الهجرة
فارتبك الخزرج.. والأوس بقلبي
ومسحت التلقيط من الحبس
لئلا يقرأني الدرب
وسيطر قنطار وعاش الصبح
فجاء الله الى الحلم
وجاء حسين الأهوازي يفتش عن دعوته
جاء النخل.. وجاء التعذيب.. وجاءت قدمي الملوية
جف الطين عليها
في البرد.. وزاغ الجرح
وطارت في عتمات القلب

فراشات حمراء.. وأشجار الحزبية
قد شحنت بالحزن وبالنار
نزلت الى ذاتي في بطء
آلمني الجرح.. مددت بساقي
خرجت قدمي كالرعب من الحلم
وكان الابهام هي عين عمياء
تشم برودة ماء (الكارون)
وهذا أول نهر عربي في قائمة المصروفات
وشم الذئب الشاهنشاهي دمي
شم الذئب دمي.. سال لعاب الذئب على قدمي..
ركضت قدمي
ركض البستان
وكان الرب أصغر برعم ورد
ناديت عليه فذقت الكركمركض الرب.. الدرب..
النخل.. الطين
وأبواب صفيح تشبه حلم فقير
فتحت ووجدت فوانيس الفلاحين
تعين على الموت حصان يحتضر
عيناه تضيئان بضوء خافت فوق ألوف الفلاحين
وتنطفآن وينشج
لو مات على الريح
وبين لفيف الضوء البري
لكان الشعب
سيحتضر
غطى شعب الفلاحين فوانيس الليل
برايات تعبق بالثورات المنسية
فاستيقظت الخيل.. وروحي
كالدرع ائتلقت وعلى جسر البرق
صرخت الهي هؤلاء الفلاحين كم انتظروا
علمهم ذاك حسين الأهوازي من القرن الرابع
للهجرة
علمهم علم الشعب على ضوء الفانوس
لا والله على ضوء الظلمة
كان حسين الأهوازي بوجه لا يتقن الا الجرعة
والنشوة بالأرض
وقال انتشروا فانتشروا
كسروا الأنهار كسورا مؤلمة برضاها
كسروا ساقيتين
أشاعوا الظلمة والأرحال
وراء النخلة وانتشروا
لفوا جسدي بدثار زركش بالطير
أورثهم أياه حفاة الزنج
فقلت لقد علمهم ذاك حسين الأهوازي
عشية يوم في القرن الرابع للهجرة
كيف نسينا التاريخ؟
دخان.. أمل أطلق فلاح في أقصى الحنطة ناراً
فانقضت كل وطاويط الشاه هناك
وكانت قدمي الملوية قد تركت
بقع خضراء من الدم المخلص
واستجوبت الأحجار فلم ينطق حجر
كيف نسينا التاريخ؟
وكيف نسينا المستقبل؟
كان القرن الرابع للهجرة فلاحاً
يطلق في أقصى الحنطة ناراً
تلك شيوعية هذي الأرض
وكان الله معي يمسح عن قدمي الطين فقلت له
اشهد اني من بعض شيوعية هذي الأرض
ودبَّ بجسمي الخدر
وغفوت وكان الفلاحين يردون غطائي فوقي
في العاشر من نيسان تفرد عشقي
أتقنت تعاليم الأهوازي
ووجدت النخلة.. والله.. وفلاحاً
يفتح نار الثورة في حقل الفجر
تكامل عشقي
ما عدت أطيق تعاليم المخصيين
تفردت.. نشرت جناحي
في فجر حدوث
ووقفت أمام القرن الرابع للهجرة
تلميذاً في الصف الأول
يحمل دفتره.. يفترش الأرض.. يعرف كيف تكلم عيسى في المهد
فإن الثورة تحكي في المهد
ويسمع صوت السبل النارية تبدأ بالخلق
اللهم ابتدئ التخريب الآن
فإن خراباً بالحق.. بناء بالحق
وهذا زمن لا يشبه إلا القرن الرابع للهجرة
او ما سمي كفراً.. زندقة.. او أدرج بالفتن
في طهران وقفت أمام الغول
تناوبني بالسوط.. وبالأحذية الضخمة عشرة جلادين
وكان كبير الجلادين له عينان
كبيتي نمل أبيض مطفأتين
وشعر خنازير ينبت من منخاريه
وفي شفتيه مخاط من كلمات كان يقطرها في أذني
ويسألني: من أنت؟
خجلت أقول له:
"قاومت الإستعمار فشردني وطني"
غامت عيناي من التعذيب
رأيت النخلة.. ذات النخلة
والنهر المتشدق بالله على الأهواز
وأصبح شط العرب الآن قريباً مني
والله كذلك كان هنا

واحتشد الفلاحون عليّ وبينهم كان
علي.. وأبو ذر..
والأهوازي.. ولوممبا.. وجيفارا.. وماركس
لا أتذكر فالثوار لهم وجه واحد في روحي
غامت عيناي من التعذيب
تشقق لحمي تحت السوط
فحطّ علي رأسي في حجريه
وقال: تحمل فتحملت
وجاء الشعب فقال: تحمل فتحملت
والنخلة قالت.. والأنهر قالت
فتحملت وشق الجمع
وهبت نسمات لا أعرف كيف أفيق عليها
بين الغيبوبة والصحوة
تماوج وجه فلسطين
فهذي المتكبرة الثاكل
تحضر حين يعذب أي غريب
أسندني الصبر المعجز في عينيها
فنهضت.. وقفت أمام الجلاد
بصقت عليه من الأنف الى القدمين
فدقت رأسي ثانية
بالأرض
وجيء بكرسيّ حُفرت هوة رعب فيه
ومزقت الأثواب عليّ
ابتسم الجلاد كأن عناكب قد هربت
أمسكني من كتفي وقال ،
على هذا الكرسيّ خصينا بضع رفاق
فاعترف الآنَ
اعترف
اعترف
اعترف الآنَ
عرقتُ.. وأحسست بأوجاع في كل مكانٍ من
جسدي
اعترف الآن
وأحسست بأوجاع في الحائط
أوجاع في الغابات وفي الأنهار، وفي الإنسان الأوّل
أنقذ مطلقك الكامن في الإنسان
توجهت الى المطلق في ثقة
كان أبو ذرٍّ خلف زجاج الشبّاك المقفل
يزرع فيّ شجاعته فرفضت
رفضت
وكانت أمي واقفة قدام الشعب بصمت..
فرفضت
اعترف الآن
اعترف الآن
رفضت
وأطبقت فمي ،
فالشعب أمانة
في عنق الثوري
رفضتُ
تقلص وجه الجلادين
وقالوا في صوت أجوف:
نترك الليلة..
راجع نفسك
أدركت اللعبة
في اليوم التاسع كفّوا عن تعذيبي
نزعوا القيد فجاء اللحم مع القيد ،
أرادوا أن أتعهد ،
أن لا أتسلل ثانية للأهوز
صعد النخل بقلبي..
صعدت إحدى النخلات ،
بعيداً أعلى من كل النخلات
تسند قلبي فوق السعف كعنقٍ
من يصل القلب الآن!؟
قدمي في السجن ،
وقلبي بين عذوق النخل
وقلت بقلبي: إياك
فللشاعر ألف جواز في الشعر
وألف جواز أن يتسلل للأهواز
يا قلبي! عشق الأرض جواز
وأبو ذرّ وحسين الأهوازي ،
وأمي والشيب من الدوران ورائي
من سجن الشاه الى سجن الصحراء
الى المنفى الربذي ، جوازي
وهناك مسافة وعي ،
بين دخول الطبل على العمق
السمفوني
وبين خروج الطبل الساذج في الجاز
ووقفت وكنت من الله قريباً.....

ثلاثة أمنيات على بوابة السنة الجديدة

مظفر النواب

مرة أخرى على شباكنا تبكي
ولا شيء سوى الريح
وحبات من الثلج.. على القلب
وحزن مثل أسواق العراق
مرة أخرى أمد القلب
بالقرب من النهر زقاق
مرة أخرى أحنى نصف أقدام الكوابيس.. بقلبي
وأضيء الشمع وحدي
وأوافيهم على بعد
وما عدنا
رفاق
لم يعد يذكرني منذ اختلفنا احد غير الطريق
صار يكفي
فرح الأجراس يأتي من بعيد.. وصهيل الفتيات
الشقر
يستنهض عزم الزمن المتعب
والريح من القمة تغتاب شموعي
رقعة الشباك كم تشبه جوعي
و (أثينا) كلها في الشارع الشتوي
ترسي شعرها للنعش الفضي.. والأشرطة
الزرقاء..
واللذة
هل أخرج للشارع؟
من يعرفني؟
من يشتريني بقليل من زوايا عينها؟
تعرف تنويني.. وشداتي.. وضمي.. وجموعي..
أي إلهي ان لي أمنية
ان يسقط القمع بداء القلب
والمنفى يعودون الى أوطانهم ثم رجوعي
لم يعد يذكرني منذ اختلفنا غير قلبي.. والطريق
صار يكفي
كل شيء طعمه.. طعم الفراق
حينما لم يبق وجه الحزب وجه الناس
قد تم الطلاق
حينما ترتفع القامات لحناً أممياً
ثم لا يأتي العراق
كان قلبي يضطرب.. كنت أبكي
كنت أستفهم عن لون عريس الحفل
عمن وجه الدعوة
عمن وضع اللحن
ومن قاد
ومن أنشد
أستفهم حتى عن مذاق الحاضرين
يا إلهي ان لي أمنية ثالثة
ان يرجع اللحن عراقياً
وان كان حزين
ولقد شقّ المذاق
لم يعد يذكرني منذ اختلفنا أحد في الحفل
غير الإحتراق
كان حفلاً أممياً إنما قد دعي النفط
ولم يدع العراق
يا إلهي رغبة أخرى إذا وافقت
ان تغفر لي بعد أمي
والشجيرات التي لم أسقها منذ سنين
وثيابي فلقد غيرتها أمس.. بثوب دون أزرار حزين
صارت الأزرار تخفى.. ولذا حذرت منها العاشقين
لا يقاس الحزن بالأزرار.. بل بالكشف
في حساب الخائفين

يا قاتلتي

مظفر النواب

يا قاتلتي بكرامة خنجرك العربي
أهاجر في الفقر
وخنجرك الفضي بقلبي.. وأولادي
عشقتني بالخنجر.. والأجر بلادي
ألقيت مفاتيحي في دجلة
أيام الوجد وما عاد هنالك
في الغربة مفتاح يفتحني
ها أنذا أتكلم من قفلي
من أقفل بالوجد وضاع على أرصفة الشارع
سيفهمني
من كان مخيم يقرأ فيه القرآن
بهذا المبغى العربي سيفهمني
من لم يتزوّد حتى الآن.. وليس يزاود في كل
مقاهي الثوريين

سيفهمني
من لم يتقاعد كي يتفرغ للهو
سيفهم أي طقوس للسرية في
لغتي
وسيعرف كل الأرقام.. وكل الشهداء.. وكل الأسماء
وطني علمني ان أقرأ كل
الأشياء
وطني علمني أن حروف التاريخ مزورة
حين تكون بدون دماء
وطني علمني ان التاريخ البشري
بدون الحب
عويلاً ونكاحاً في الصحراء
يا وطني هل أنت بلاد الأعداء؟
هل أنت بقية داحس والغبراء؟
وطني أنقذني من رائحة الجوع البشري
مخيف
أنقذني من مدن يصبح فيها الناس
مداخن للخوف وللزبل
مخيس
من مدن ترقد في الماء الآسن
كالجاموس الوطني
وتجتر الجيف
أنقذني كضريح نبي مسروق
في هذي الساعة في وطني تجتمع الأشعار
كشعب النار
وترضع في غفوات البر صغار النوق
يا وطني المعروض كنجمة صبح في السوق
في العلب الليلية يبكون عليك
ويستكمل بعض الثوار رجولتهم
ويهزون على الطبلة والبوق
أولئك أعداؤك يا وطني
من باع فلسطين سوى أعداؤك أولئك يا وطني
من باع فلسطين وأثرى بالله
سوى قائمة الشحاذين على عتبات الحكام
ومائدة الدول الكبرى
فإذا أجن الليل تطق الأكواب بأن القدس عروس عروبتنا
من باع فلسطين سوى الثوار الكتبة
أقسمت بأعناق أباريق الخمر
وما في الكأس من السم
وهذا الثوري المتخم بالصدف البحري ببيروت
تكرش حتى عاد بلا رقبة
أقسمت بتاريخ الجوع.. ويوم السغبة
لن يبقى عربي واحد
ما دامت حالتنا هذي الحالة
بين حكومات الكتبة
القدس عروس عروبتكم
فلماذا أدخلتم كل زنات الليل الى حجرتها
وسحبتم كل خناجركم
وتنافختم شرفاً
وصرختم فيها ان تسكت صوناً للعرض
فما أشرفكم أولاد القحبة
هل تسكت مغتصبة
أولاد الفعلة لست خجولاً
حين أصارحكم بحقيقتكم
ان حظيرة خنزير أطهر من أطهركم
تتحرك دكة غسل الموتى
اما انتم لا تهتز لكم قصبة
الآن أعريكم
في كل عواصم هذا الوطن العربي قتلتم فرحي
في كل زقاق أجد الأزلام امامي
أصبحت أحاذر حتى الهاتف.. حتى الحيطان.. وحتى الأطفال
أقيء لهذا الأسلوب الفج
وفي بلد عربي كان مجرد مكتوب من أمي
يتأخر في أروقة الدولة شهرين قمريين
تعالوا نتحاكم أمام الصحراء العربية
كي تحكم فينا
أعترف الآن أمام الصحراء بأني مبتذل وبذيء
كهزيمتكم
يا شرفاء مهزومين
ويا حكاماً مهزومين
ويا جمهوراً مهزوماً
ما أوسخنا.. ما أوسخنا.. ما أوسخنا..
ونكابر ما أوسخنا

لا أستثني أحداً
هل تعترفون آنا قلت بذيء
رغم بنفسجة الحزن.. وايماض صلاه الماء على سكري
وجنوني للضحك بأخلاق
الشارع والسكنات
ولحس الفخذ الملصق في باب الملهى
يا جمهوراً في الليل يداوم في قبر مؤسسة الحزن
سنصبح نحن يهود التاريخ
ونأوي في الصحراء بلا مأوى
هل وطن تحكمه الأفخاذ الملكية
هذا وطن أم مبغى؟
هل أرض هذي الكرة الأرضية.. أم وجر ذئاب؟
ماذا يدعى القصف الأممي على هانوي؟
ماذا تدعى سمة العصر وتعريص الطرق السلمية؟
ماذا يدعى استمناء الوضع العربي أمام مشاريع السلم
وشرب الأنخاب مع السافل فورد؟
ماذا يدعى ان تتقنع بالدين وجوه التجار الأمويين؟
ماذا يدعى الدولاب الدموي ببغداد؟
ماذا تدعى الجلسات الصوفية في الأمم المتحدة؟
ماذا يدعى إرسال الجيش الإيراني الى قابوس؟
- وقابوس هذا سلطان وطني جداً
لا تربطه رابطة ببريطانيا العظمى
وخلافاً لأبيه ولد المذكور من المهد ديمقراطياً
ولذلك تسامح في لبس النعل.. ووضع النظارات
فكان ان اعترفت بمآثره الجامعة العربية
يحفظها الله
وإحدى صحف الإمبريالية قد نشرت عرض سفير عربي
يتصرف كالمومس في أحضان الجنرالات وقدام حفاة (صلاله)
ومن لا يعرف ان الشركات النفطية في الثكنات
هناك يراجع قدرته العقلية..
ماذا يدعى هذا؟
ماذا يدعى تبرأة الملك السفلس في التاريخ العربي
ولا يشرب إلا بجماجم أطفال (البقعة)
أصرخ فيكم
أصرخ أين شهامتكم ان كنتم عرباً.. بشراً.. حيوانات
فالذئبة حتى الذئبة تحرس نطفتها
والكلبة تحرس نطفتها
والنملة تعتز بثقب الأرض
أما انتم فالقدس عروس عروبتكم
فلماذا أدخلتم كل السيلانات الى حجرتها
ووقفتم فيها ان تسكت صوناً للعرض
فأي قرون أنتم
أولاد قراد الخيل كفاكم صخباً
خلوها دامية في الشمس بلا قابلة
ستشد ظفائرها.. وتقيء الحمل عليكم
ستقيء الحمل على عزتكم
ستقيء الحمل على أصوات إذاعتكم
ستقيء الحمل عليكم بيتاً.. بيتاً
وستغرز أصبعها في أعينكم
أنتم مغتصبي..
حملتم أسلحة تطلق للخلف
وثرثرتم.. ورقصتم كالدببة
كوني عاقرا أي أرض فلسطين
كوني عاقرا أي أم الشهداء
من الآن فهذا الحمل من الأعداء
ذميم.. ومخيف
لن تتلقح تلك الأرض بغير اللغة العربية
يا أمراء الغزو فموتوا..
سيكون خراباً.. سيكون خراباً.. سيكون خراباً
هذي الأمة لابد لها ان تأخذ درساً في التخريب.....

الخوازيق

مظفر النواب

لله ما تلد البنادق من قيامه
ان جاع سيدها وكف عن القمامه
ان هب لفح مساومات
كان قاحلاً
قاتلاً لا ماء فيه ولا علامه
وهو السلاح المكفهر دعامة
حتى إذا نفذ الرصاص هو الدعامه
قاسى فلم يتدخلوا
حتى إذا شهر السلاح
تدخل المبغى ليمنعه اقتحامه
لا يا قحاب سياسة
خلوه صائماً.. موحشاً
فوق السلاح
فإن جنته صيامه
قالوا مراحل
قولوا قبضنا سعرها سلفاً
ونقتسم الغرامه
لكن أرى غيباً بأعمدة الخيام
تعرت الأحقاد فيه جهنماً
وتحجرت فيه الغلامه
حشد من الأثداء.. ميسرة تعج دماً
وحلق في اليمين لمجهض دمه أمامه
حتى قلامة أظفر كسرت
ستجرح قلب ظالمها
فما تنس الغلامه
وأرى خوازيقاً صنعن على مقاييس الملوك
وليس في ملك وخازوق ملامه
لله ما تذر البنادق حاكمين
مؤخرات في الهواء
ورأسهم مثل النعامه
ودم فدائي بخط النار يلتهم الجيوش
كما الصراط المستقيم
به اعتدال واستقامه
لم ينعطف خل على خل
كما سبابة فوق الزناد
عشي معركة الكرامه
نسبي إليكم أيها المستفردون
وليس من مستفرد
في عصرنا
إلا الكرامة....

الرحلات القصية

مظفر النواب

لكل نديم يؤرق.. والقلب ملّ نديمة
كأني عشق تذوق.. طعم الهزيمة
دخلت وراء السياج
فآه من الذل في نفحة الياسمين
زكي
ويعرف كل الدروب القديمة
وآه من العمر بين الفنادق
لا يستريح
أرحني قليلاً فإني بدهري جريح
لكم نضج العنب المتأخر
وانطرقت بعض حباته
كن يداً أيها الحزن
وأقطف
ولا تك ريح
رمتني الرياح بعيداً عن النهر
فاكتشفت بذرتي نهرها
غطت الدرب
والفتية المنتمين الى اللعب
والخطر البرتقالي في حدقات الزقاق
وتدخل غرفة نومي
وهذي رسومي.. وهذا صباي الحزين
وتلك مراهقتي في شبابيكها.. ولهاث السفرجل
والشوق قد كبر عشرين عاماً
وصار اشتياق
وما من دموع أداوي بها
حضرات الهموم
إلا قميصي.. وقلبي.. وكلمة حزن
نساها الرفاق
تفتق حزن غداة افترقنا
ولست على أحد نادماً
غير قلبي
فقد عاش حباً معاق
أحلق وحدي بطائرة
كل ركابها نزلوا في مطار غريب
وأعطس في البرد
لا طاقماً.. لا مضيفة.. لا مطارات حب سأنزل فيها..
ولا بلداً عربياً
يكون تبرأ مني الزمان الحبيب
لكم كان يكفي قليل من الورق الناعم البالي
أصنع طائرتي وأهيم بها في الطفولة
والناس مثل الطفولة صحو
يغني به عندليب
وتلك النوايا الصغيرة جداً
تمر البساتين فيها
وتبني قناطرها
والكلاب الصغيرة تركض في فروها الليلكي
وراء نحاس المغيب
وفستان نون على شفتي.. مراهقة قبلتني
لأني طفل ولا أفهم الرحلات القصية
ما زلت طفلاً تهجأت
أو يتهجأ قلبي طيب
وأتقنت أقرأ مثل الكفيف
بهذي الأصابع.. خصراً وكسراته
فإذا ضمني مثله لم أعد معرباً
بل بناء رهيب
لقد قدموني الحروف الى النون
ثم اكتفوا
فبقيت رضيعاً
وعين على الواو والياء أيتها الأحرف العربية
فالهاء حرف عجيب
وأمد الخيوط وطائرتي تسمع النبض
عبر خيوطي
وفي اللازورد سماوي
في طرب تستجيب
وقد يعلق الخيط بمدخنة لرخيص قديم
فيحفل من رقة الخيط
هذا زمان دنيء كئيب
وأخجل أسحب خيط حد الهزيمة
كفى تنفخين رماداً
تقصدت ان أحرق القلب مستعجلاً
فاني على النور بعض
النميمة
لكم كنت كالورق الناعم البالي
حد الجريمة
لقد خربش الحب أمسي
وقد خرجت خربشات الهوى لغدي
والتقت عند تلك المصاطب والسوي
والحانة المستديمة
هنالك مصطبة في النوارس
يطمرها القش والليل
كنت أحب عليها.. وأنسى عليها
وأربط طيارتي والسياسة.. والعشق
وقد اقتلعتها الدهور
الأثيمة
أعيد المصاطب قاطبة بيدي
اذا انتصر النهر والناس
أدهنها عبر مصطبتي

سوف أتركها مثلما هي كانت قديمة
كما وسختها العصافير
والنسنسات التي يترك العشق.. والسحر.. والصيف..
قبل نهايته
والقوارب بيضاء في آخر النهر
في مسحة من ضباب
رحيمة وأغفوا عليها
وزران قد قطعا من قميصي
ليخرج قلبي متى ما أووا
الى دجلة يتبرج ثم يعود
يمارس نفس الهوى الخطيئة
بل والجريمة
وأغسل عني الذي زور الملحقون بكل الدوائر

إذ وجدوا القلب
دائرتي وحده
وبه أتحدى ومنه
العزيمة
وأقرأ ثانية بالأصابع خصراً
تعشقته والقراءة أتأتئ
وان كثر الكسر
والتأتآت سليمة.....

بيان سياسي

مظفر النواب

ليست تسوية.. او لا تسوية
بل منظور رؤوس الأموال.. ومنظور الفقراء
أعرف من يرفض حقاً
من تاريخ الغربة والجوع بعينيه
وأعرف أمراض التخمة
يمكنني أن أذكر بعض الأسماء
لن تصبح أرض فلسطين لأجل سماسرة أرضين
وان حمي الاستمناء
لا تخشوا أحداً في الحق
فما يلبس حق نصف رداء
ليس مقاتل من يدخل مشجب بأسلحة فاسدة
أو يجبن
فالثورة ليست خيمة فصل للقوات
ولا تكية سلم للجبناء
وإياكم أبناء الجوع فتلك وكالة غوث أخرى
أسلحة فاسدة أخرى
تسليم آخر
لا نخدع ثانية بالمحور او بالحلفاء
فالوطن الآن على مفترق الطرقات
وأقصد كل الوطن العربي
فأما وطن واحد او وطن أشلاء
لكن مهما كان فلا تحترموا
فالمرحلة الآن
لبذل الجهد مع المخدوعين
وكشف وجوه الأعداء
المرحلة الآن لتعبئة الشعب الى أقصاه
وكشف الطباخين
وأي حصاة طبخوا بالوعد وبالماء
هذي مرحلة ليس تطول
وأول سيف يشهر ضد الثورة
مشبوه عن تابع ظهر
من كل الفرقاء
لا تنسوا أن سلاح الكحالة ضد فلسطين جميعاً
جزءً أو أجزاء
كشف البطل اللعبة
أما التفتيش
فما كشف شيئاً في الأشياء
تتوحم هذي الرجعية ليلا نهارا
فلا تنسوا تزييت بنادقكم
أيلول الأسود ما زال هنا
يتربص في الأنحاء

اللون الرمادي

مظفر النواب

دمشقُ عدتُ بلا حُزني ولا فرَحي
يقودني شَبَحٌ مضنى إلى شبحِ
ضَيّعتُ منكِ طريقاً كنتُ أعرفه
سكرانَ مغمضة عيني من الطفحِ
أصابحُ الليلَ مصلوباً على جسدٍ
لم أدرِ أيَّ خفايا حُسنه قدحي
أسى حريرٍ شآميٍّ يداعبه
إبريق خمرٍ عراقيٍّ شجٍ نضِحِ
دفعت روحي على روحي فباعَدني
نهدان عن جنةٍ في موسمٍ لقح
أذكى فضائحه لثماً فيطردني
شداً إليه غريرٌ غير مفتضح
تستقرئ الغيب كُفي في تحسّسه
كريزةٍ فوق ماءٍ ريِّقٍ مرح
يا لانحدارٍ بطيءٍ أخمصٍ رخصٍ
ولارتفاعٍ سريعٍ طافحٍ طمح
"ماذا لقيت من الدنيا وأعجبه؟!"
نهدٌ عليَّ ونهدٍ كان في سرح
هذا يطاعنني حتى أموت له
وذاك يمسح خدي بالهوى السمح
كأن زهرة لوزٍ في تفتّحها
تمجّ في قبضتي بالعنبر النفح
دمشق عدت وقلبي كله قرحٌ
وأين كان غريبٌ غير ذي قرح
هذي الحقيبة عادت وحدها وطني
ورحلة العمر عادت وحدها قدحي
أصابح الليل مطلوباً على أملٍ
أن لا أموت غريباً ميتة الشبح
يا جنة مر فيها الله ذات ضحى
لعل فيها نواسياً على قدح
فحار زيتونها ما بين خضرته
وخضرة الليل والكاسات والملح
لقد سكرت من الدنيا ويوقظني
ما كان من عنبٍ فيها ومن بلح
تهرُّ خلفي كلاب الحيّ ناهشة
أطراف ثوبي على عظمٍ من المنح
ضحكت منها ومني فهي يقتلها
سعارها وأنا يغتالني فرحي

١٩٧١/١٢/٢٩

مرثية لأنهار من الحبر الجميل

مظفر النواب

قيلت في رثاء رسام الكاريكاتور الفلسطيني
المبدع الشهيد ناجي العلي

يسافرُ في ليلةِ الحزن
صمتي
غيوماً
تتبَّعته مُمطِراً
واشترَيتُ دروبَ المتاعبِ
ألوي أعِنّتها فوق رسغي
ليالي أطول من ظلمات الخليقة
<< خالٍ سوى من فتاتٍ من الصبر>>
في ركن زاويتي
والدجى ممطرٌ

* * *

أأنتَ الوديعُ كساقيةٍ
من خبايا الربيع
قتلت ؟!
وغصَّ بنعيك من قتلوك
كأنك مقتلهم.. لا القتيلُ

* * *

لِمَ استفردوك بقبر عدوٍّ ، وراء الضباب ؟!!!
وفيمَ تساءلت ذات مساءٍ من الحزن
عمَّن سيأخذ ثأرك !
هل كنتَ تعرف أن الرجال قليلُ ؟؟؟
هل التصفيات بديلٌ عن الأرض
والفشل المستمر؟!
وأيّ مقايضاتٍ تلك
خير الرجال
بشَرِّ النقود
ومَن شُركاء الجريمة ؟!!
ما هذه المسرحية بالدم والنار
تبكي التماسيح فيها ؟!
لقد طالت المسرحية
والصبغُ سالَ على أوجه البعض

* * *

ألا ننتهي ؟؟
صار صوتُ المُلقِّن
أعلى من البهلوان المُهرِّج فوقَ رؤوس الجماهير
هل سوف نخرج مما على نفسنا
نتضاحك
أم ستعاد الفصولُ ؟؟!!
يقولون:
يا زهرة الحزن ! . مُتَّ
وضاع أريجك خلف الضباب
وأغُـلِق عمرٌ جميلُ
من الحزن والإحتجاج الطفولي
عمرٌ حكيمٌ من العشق
تحضن في جانحيك فلسطين دافئة
كالحمامة
تطعمها بشفاهك تسمع نبضاتها تتضَوَّرُ قبل
تضَوُّرِها
تحرث الأرض .. والطبّ .. والصيدليات ..
تبحث عما يداويكما

* * *

ترسمُ صمتاً نظيفاً
فإن المدينة تحتاج صمتاً نظيفاً
وترسمُ نفسك مُتجهاً للجنوب
البقاع
العروبة
كل فلسطين !!!

جسر المباهج القديمة

مظفر النواب

ملك العُمق..
أزور نجوم البحر
أزوّجها بنجوم الليل
أطيل لدى موضع أسرار الخلق
زياراتي
* * *
سوف أحدثكم في الفصل الثالث عن أحكام الهمزة
في الفصل الرابع عن حُكام الردّة
وأما الآن فحالات العالم فاترة
ملل يشبه علكة
لصقته الأيام بقلبي
* * *
يا صاحب هذا الكلك المتعب
كنت تسميه سفينة عشق
أنّى أوقدت سيفقس هذا البيض الفاسد
أوساخاً
ألديك فوانيس ؟
زيت ما لمسته يدان ؟
روح تبصر في الزمن الفاسد ؟
أوقدَ بَحّارُ البَحّارين قناديل سفينته
أبقاها خافتة
بَحّار البَحّارين ومن جمع اللؤلؤ والأضواء وأصوات البحر
بخيطٍ لحبيبته
أبقاها خافتةً
تملك أحلى ميم أعرفها
ولها جسد مزجته الآلهة الموكولة بالمزج
فبالغ بالطيب وأربى بالحسن عليها ... إرتبكت .
* * *
توضأت بماء الخلق ،
أخذت بهذي القيثارة
دوزنت عقوداً أربعة
وشددت على وجع المفتاح الخامس والسابع
فاعترض النحو البصري عليَّ
كذاك اعترض النحو الكوفيّ
من لا أعرفه يعرف نحواً في الشعر
دع الريح يهدهدك الهدهدة الإهداء
نذرك كان كثير الشمع الأحمر والآس
ومرت كل شموعك من تحت الجسر
وأوغلت كثيراً في البحر
فأين البصرة ؟!
صحيحٌ أين البصرة ؟
البصرة بالنِيّات
لقد خلصت نِيّاتي
وتسلق في الليل عمى الألوان عليها
أين البصرة ؟
أين البصرة ؟ مشتاق
بوصِلتي تزعم عدة بصرات
منذ شهور قلبي لا يفرح إلا بين النخل
أتسير ببوصلة ؟!
- حين يكون لذلك فائدةٌ
ما دختَ ؟!
- إذا كنتُ بلا أملٍ
يا صاحب هذا الكلك المتعب
أنت تسمّيه المركب ، لا بأس عليك
تفاءل ما شئت
أطلق ما ترتاح من الأسماء عليه
* * *
وأضاف قميءٌ عفنٌ كان يقوّق بين القوم
وكنت تفرّغ شحنتنا الثورية !
يا ابن الشُحَن السلبية !
بطاريّة حِزبك فارغة ماذا أعمل ؟
والتفت الآخر لفتة من فاجأه الحيض وقال :
تفاهمت مع السلطة تشتمها وتورطنا
إربأ أن تسمع واتعذ الله
فمهما قيل فأنت تُعلِّمُ مثل نبيّ
سلمك المفتاح على ذمة بَحّار البحّارين وأعطاك السعفة
* * *
ولكن أين البصرة يا مولاي
وما شأني بالبحر
- لا يوصلك البحر إلى البصرة ؟
- بل يوصلني
- لا يوصلك البحر إلى البصرة ؟
- بل يوصلني البحر إلى البصرة
- قلنا لا يوصلك البحر إلى البصرة ؟
- أحمل كل البحر وأوصل نفسي
أو تأتي البصرة إن شاء الله
بحكم العشق
وأوصلها ...

أيّها القبطان

مظفر النواب

اسقنيها
وافضحي فيَّ الظلاما
بلغت نشوتَها الخمرةُ
في خديك
نثر الورد في كأس الندامى
وروت مبسمَ وردٍ
نزع التاج وألقاه بأرواح السكارى
بمعانٍ نزعت ألفاظها
وقف العشقُ على كفيهِ مجنوناً من النشوة
والعود ارتخت أوتارهُ
واللحن قاما
وانتضائي ضائعَ اللُّب
بعينيّ من السُكر دَمُ العصفور
والجفن انكساراتُ خزامى
جسدي مرتعشٌ بالطّل
أنضوه
كأني أُفعوانٌ،
ترك الثوب السموميّ،
على صكة نهديك ضراما
متعبٌ
أبصم إن حسستني جسمي،
فإني لستُ ألقاه
وإن قد أشعل الليلَ
أنيناً وسقاما
ربما يقوى على حملي
الى بيت تعودتُ على فقدانه،
ألقاهُ في عيني
وأغفوه
كأن النوم ناما

* * *

رسموا بحراً من الحبر
وحطوا مركباً فيه
ويا غافل! يا أنت لك الله
ركبنا!!!
فوجدنا نفسنا في ورق الرسم
بلا صوتٍ!
ومشطوبين بالأحمر!!!
والقبطان مشروخاً الى كعبيه بالذُلّ
أدفعوني
ومضى يفتك بالنسوة في قمرتهِ العُليا
اهتماماً بالجماهير،
وبالفخذ اعتصاما!
ليس بالمركب والبحر ثقوبٌ
إنما أنت هو الثقب
ولن يمنحَك البحر احتراما
تدّعي المركب!؟ هيهات!!!
ومن أين ولم تُبحر؟
وتاريخك وَحْلٌ
ودَمُ النوتيةِ الأمجادِ في عُنقِكَ
أصبحتَ على البحر إماما!!!؟
أسقنيها
لم يزلْ للبحر في رأسي، دويٌ
والمدى لعبةُ اطفالٍ بكفي
وثُقى أشربُها
راحاتها استغفرت الله لنا
والعُودُ يلتف،
كمن يحتضر الروحَ ضُراما.
أسقنيها وفدى خُفيك من يشربُ خمراً
وهو لا يعرفُ للخمر مقاما.
أيها الشاربُ
إنْ لم تكُ شفافاً رقيقاً
كزجاج الكأس،
لا تدخل طقوس السكر والكينونة الكبرى
فسوء الخمر يؤذي،
بينما يقتل سوءُ الخُلقَ
فاشربها كريماً دَمِثاً
تطمعُ أنَّ النارَ تستثني الكراما

* * *

قارب الأيام
تِهْ بيَّ
وتهني..
فأنا أسمع تيهاً غامض البُعدِ
وزرَّ البحر من خلفي،
وضيّعني أماما
ابتعد عن أيّ شاطئ،
أيها النذرُ الشبوبيُّ
بمقدار نوايا الشمع
تُعطِ البحر بقشيشاً
من الماء اضافياً
وطعماً
وغماما
أنتَ.. أنتَ المركب النشوانُ
ألواحاً
ومجذافاً.. وروحاً
تتهادى في نئيج الموج والطير

وصمت المطلق السينيِّ
يا سينيٌّ!! يا سينيٌّ
يا سراً من الأسرار
حققتَ الزمان الضدَّ
غصناً فارعاً بالورد،
ممشوقاً غلاما.
كاشفاً عن فخذيك الجبروتين،
أفاداتٍ من الرُّز.
وصمتِ الفيروزباديِّ
وكل امرأةٍ تُسندها
تسمع صوت الغرانيق
وجيش الزنج،
تنضم..
وتُعطيك الزماما

* * *

أينهُ وعدُ الذين أُستُضعفوا في الأرض
والركض الى المسلخ يومياً!؟
أنا أصرخُ يا ربٌّ! التفت للناس
ما هذي القيادات المنافيخ فراغا
تشتكي من سوء هضمٍ،
داخل المخ
وتجتر نياما
أنا سكرانُ بمن تخلقُهمْ
من نُطفة اللوز،
ونُطق الكسل الصيفي
سكرانٌ بمن
يا ربٌّ يا تدري بمن!
يا ربٌّ، يا تدري بمن!
قابضٌ راحي على جمرةِ كأسي
بهدوء ورضى.
أمنحُ دنيايَ على علاتها أقمار زرقاء
وناراً وخياما.
لم أزلْ أرجع للكتّاب
والختمةِ والقرآنِ، طفلا
دائماً ألقاك في شارعنا الفرعي
تؤويني من الصيف العراقي
بثوبيكَ
وتتلو صبرَ أيوبَ على وجهي
ولكني مهووسٌ غراما:
ببيوت أذِن الله بأن يُذكر فيها
وكثيراً هيمتني
"ألم نشرح":
"والضحى":
"يا أخت هارون ولا أمُّكِ قد كانت بغيّا"
"زكريا"
"وسليمان بن خاطر" كان صديقاً نبيا
وإماماً
قبّل القبرَ "بأكياد"
فهذا الهرمُ الطفلُ
احتوى أسرارَ مصر كُلَّها،
وأقانيمَ خلود الروح والطوفانَ والطودَ
أما كان كليمَ الله،
في رابية الطودِ،
وناداه: سليمان بن خاطرْ
طهِّر البيتَ من الأرجاس وانزل أرضَ مصرٍ،
حذّرْ الأحزاب في دوامة السلطة
والنصفية العاهر
بلغها بأن الله لا يقبل إلا بالبوارید
السلاما
يا صُراخَ الكُوة السوداء
يا يحيى نبي الله!
"سالومي" تؤدي رقصة الموتِ
وألقت آخر الأشياء للستر
على استقلال مصر
والمزاميرُ وصوتُ النقر من بيت رئيس الجيش
صلِّ ركعة الموت
فإن الرأس مطلوبٌ
ولم تصح الجماهير تماماً.
أسقنيها
لا يزالُ الليلُ يشتدُّ
وأشتد
ولا يبدو على الأفق ذليلٌ
ربما كلَّتْ من الخيبة عيني
وأضافتْ ظُلُماتٍ
أو يروغ الأفقُ أمعاناً بشيء،
إنما أُبصر من عين الذين استضعفوا
إن أطبقت كُلُّ المقادير جهاما

أنا سكرانٌ بمن تخلقُهُمْ
من نُطفةٍ طاهرةٍ،
مثل مياه الصُبح
في الخدّ قناديلُ من المسك
وفي العين شرودُ الظبيّ في الصحراء
أنا
أنا سكرانٌ بمن
يا ربُ يا تدري بمن

لا مني الحُبُّ على الحُبِّ
فأغويتُ الملاما
أمسكَ الصحبُ السُكارى،

ليلَ ردني
سقط الزرُّ عليهم قمراً
وتدلّى سُلماً خيطٌ
الى حصته من قدحي،
صار يلتف بروجاً
أيُّ كونٍ بين كأسي ويدي!!!
ربُّ! لا تغضبْ، فإني "استُضعِفوا"
يأخذُ الترتيلُ بالآية لُبّي
فإذا ما بسملتْ شاحنةٌ بالحزن والبارود
سجّلت على حاشية القرآن
اسما
شاحنات للذين استضعفوا
أهدافها شتى
فيا حضرة كُتّاب التقارير،
تشيطنتُ
ولم أذكر نظاماً
رافعاً فردةَ سُباطيّ
كالهاتف،
كي أشتُمهم.
يا خوات الـ !!
قُطع الخطُّ ولم أُكملْ مراسيمَ احترامي
ربما بالفردة الأخرى،
أرادوا الاحتراما

* * *

أسقنيها
ودعي سبابتي الحمقاءَ
تستفتحُ بالنهد
ولا أدري الختاما
انني صَبٌّ،
أسمّي كُلّ ما يسلبُ لُبي خمرةً
إن كان حُسناً
أو قُراحَ الماء في كف كريمٍ
أو حزاماً ناسفاً
أو بيت شعر
أو مُداما.

(١٩٨٦)

عروس السفائن

مظفر النواب

فوانيسُ في عُنُقِ المُهرِ.. علَّقَها الإشتهاءُ
ونجمٌ يضيءُ على عاتقِ الليلِ.. زيَّتَ نخلُ الهموم
وأعتقَ من عقدةِ الشاطئين رحيلَ السفينةِ
من سُفُنٍ لا تُضَاءُ
وناحت مزاميرُ ريحُ الفنارِ فأيقظْتَ رُبّانَها المُتّحيل
فذاقَ الرياحَ وأطرَبهُ الإبتلاء
وسادنُ روحي وقد أطْبَقَ الموج
حتى تَجرحَّها
أنها وحّدَت نفسها بالسفينة
من ينتمي هكذا الإنتماء
فنيتُ بعشقٍ وأفنيته بفنائي
لينبتَ من فانيين بقاءُ
بنيتُ بيوتاً من الوهمِ والدمعِ
أين هوَ العشقُ.. أين هوَ العشقُ.. أين هوَ العشقُ.. تم البناءُ
عروس السفائن ألصقتُ ظهري الكسير
على خشب الشمس فيك
حريصاً على الصمت.. مدماً من الناس
في البئر أستنجد البحرَ.. قبل قراءاتِ بوصلتي ودليلي
وأخصفُ ما نهشتهُ الجوارح
من مضغةِ القلبِ أبقِ الجروحَ
مُفَتَحّةً في رياحِ المَمَالِحِ
لا يَحلمُ الجُرْح ما لم يُحَدِّقْ بسكينهِ عابساً
في الظلامِ الثقيلِ
إذاً.. دارت الشمسُ دورتها
وارتأتني الرؤى نائماً تحت ألفِ شِراعٍ
مجوسيةٌ قصتي
معبدُ النارِ فيها
وقلبي على عجلٍ للرحيل
بعيداً عن الزمن المبتلى.. يا سفينةُ
إن قليلاً من الوزر أمتعتي المزدرات
ولم تثقلي بالقليل
سأبقي المصابيح موقدةً في بواء الصباح
مصالحةً بين صحوِ الصباحِ وصحوي
وأُبقِ الرياحَ دليلي
وأسألُ عن نورسٍ صاحبُ الروحِ في زمن البرقِ
يومَ المُحيطاتِ كانت تنامُ بحضني نَشْوى
وما زالَ ثوبي أخضرَ من مائها
يا لهُ من زمانٍ مرَّ بين ألفٍ من السنواتِ الفتيةِ
يا وَجْدُ ما كُنتَ دون حَمَاسٍ.. وما ظَلَّ في خَاطِري الآن
إلا النشيجَ اللجوجَ من اللججِ النيلجية..
والزَبَدُ الأرجوان.. المعتق في غسقٍ باللآلئ..
والزبد الأرجوان.. المزخرف بالليل

والقمر الآن من زهرةِ البرتقال
تغيرتُ مستعجلاً أيها الفرح الضجري
وأصبحَ محشرُ أغربة سطحَ قلبي
ينحنح قبيل مغيب الهلال
عروس السفائن اني إنتهيت.. على سطحكِ الذهبي
ورأسي الى البحر يهفو رائحة اللانهايات
والليل.. تعبان.. يطوِّحها الموجُ ذات اليمينِ وذات الشمالِ
لقد ثقَّلَ الرأسُ بالخمرِ
والزمنُ الصعب قبل قليل
وأنهكني البحر في زمن للطحالب
عن طحلب بلا قلب.. يصيخُ معي في الهزيع الى جهة المستحيل
لدى الله كل النوارس نامت
ولم يبقَ إلا سفينتك الآن
مبهورةً بالشمول
على وجهها من رذاذ الغروب
ومن عرق الله بالأرخبيل
فأين سيلقي المراسي الماء
بنيت بيوتاً من الماء هدمها الجَذْفُ
كيما يتم البناء
ومنذ نهارين في وحدة المتناقض
هذي السفينة يدفعها ويدافعها الإبتداء
أعللها بعليل الرياح.. ويغري بها أنها من طبيعتها تستمد
خليل السفائن سليني النهايات
يا لانتشائك إذا هَزَجَ البحرُ
بالزبد الزئبقي.. ويزهو اللبرجد واللازورد
إذا هزج البحر فالكون زاءُ ملونةٌ
فوقها شدةٌ.. فوقها شدةٌ
ثم مدٌّ
وللشدِّ من بعد ذلك شَدٌّ.. وللشدِّ شَدٌّ
وإني على الحبل من مركبي.. في الظلام أشُدُّ
وعلى دمعتي في الهزيع
كما خصر أنثى أشُدُّ
وتندمل هنا يا صاحبي فالنجوم هنا لا تُعَدُّ
وأنت كما خلق الله في نخوة الخلق
بين الصواري يؤجج ما قد تبقى
من الشيب برقٌ
ويعبث فيما تبقى من القلب رعدُ
عجيب صراخك في غمرات البنفسج.. والكون
إذ يصل العتبات الأخيرة
في غفوةٍ لا يَنِدُّ
عروس السفائن لا تتركيني على أنقة الساحلين
يَجِنُ جُنوني إذا رنَّ في هدأة الليل بُعْدُ
أهيم إذا رنّ في هدأة الليل بُعْدُ
عروس السفائن لا تتركيني لذى حاكمٍ وسخٍ يَسْتَبِدُّ
لقد كفت الخمرة عن فعلها فيّ مما تداويت

واربد بالصبر جلد
أحب الحروف لها شهقةٌ بعدها لا تندُّ
وما العاشقون سوى شدة الله
أسراها لا تحدُّ
فإن ساح البنفسج في موهن البحر
صارت تَلِزُّ.. تَلِزُّ
وصُرتُ أَلِزُّ.. أَلِزُّ
عروس السفائن والبردُ في ألقِ الصُبحِ خَزُّ
وليس يهاجر في الفجر إلا الأوَز
رسى السأمُ السرمدي بجسمي
وليس سوى غامضاتِ البحار
التي تستفزُّ
أصيحُ.. خذيني لأسمع أجراسها
ان برقاً بقلبي يلز
أنا عاشق أيهذي البحار لأجراسكن
فقد أوحشتني الشوارع
مما بها من لحىً ورؤوس تجز
وفاض وفاض الإناء
بنيت بيوتاً من الوهم والدمع أين هوَ العشقُ.. أين هوَ العشقُ
أين هو العشق.. تم البناءُ
أُحاور روحي أحاورها.. وكل حوار مع الروح ماء
بكى طائر العمر في قفصي
مذ رأى مخلب الموت
ينزل في صحبه ويَكُفّ الغناء
متى أيهذي العروسُ يجيء الزمان الصفاء
ففي القلبِ مملكةٌ للدمامل
والجسد الآن في غاية الإعتلال
خذيني.. لأقرأ روح العواصف
حين تخانق سخط الليالي
خذيني فإن العصارة تغرق بالأغلال
خذيني.. فما البحر في حاجة للسؤال
خذيني.. فليس سوى تعب البحر يشفي
وينقذ من فقمات المقاهي
كفى لغطاً عاهراً أيها الفقمات
كفى يا ضفادع هذا النقيق الدنيء
فأنتم سبات
سأصرخ يا بحر.. يا رب.. يا رقص.. يا عتمات..
زُحَارٌ بكل التقاليدِ
لا يتبعَ البحرُ بوصلةً
بل تتابعه البوصلات..
زحار ببحارة يرهنون لحاهم على ساحل
واعصفي فالمقادير قد أفلتت عن إرادتها العجلات
سيولٌ على بعضها تتواكب في زحمة الإرتطام
وفي دمهم يعبرُ السائرونَ
إذا لَزِمَ المعبرُ

ومن قطرةٍ يعرف المصدر
هي اللحظة اقتربتْ فابشروا
تَهبُّ البنادق تستهترُ.. وتصحو النيازك والعنبرُ
ويأتي دمٌ مُدْلَهِمٌ مُخيفٌ
أقَلُّ ارتطاماته مَحشرُ
وعاصفُ أسودُ ذو ألفِ عينٍ
على متنهِ عاصفٌ أحمرُ
وتمسي ذقونَ ذُئَابَ عَقاربَ
في أوجهِ الخائفينَ وما زوّروا
فذئبٍ بفخذينِ من آخرٍ
يَدفِنُ الوجهَ رُعباً
فهم نسقٌ راعشٌ أصفرُ
لقد كنتُ أحلمُ وعياً
وفي حلمٍ بالذي سوف يأتي وفاءُ
ومرّت جنازةُ طفلٍ على حُلُمي بالعَشِيِّ
يرادُ بها ظاهرَ الشامِ، قلتُ:
أثانيةً كربلاءُ
فقالوا من اللاجئين.. كَفَرْتُ
وهل ثم أرضٌ تسمى لجوءً لنُدفن فيها
وهل في التراب كذلك
مقبرةٌ أغنياء.. ومقبرة فقراءُ
تلفتّ في ظاهرِ الشام أبحثُ عن موضعٍ
لا يمتُّ لغير منابعه
ندفنُ الطفلَ فيه
وقد دبَّ فينا المساءُ
وكان على كل أرضٍ نظام الحوانيت
يتبعنا في الغروب
وكان يُشارُ لنا: غُرَبَاءُ
وحين دنونا لمقبرة ليس من مالكين لها
جَعْجَعَ الحرس الأموي بنا: فُرزَت للخليفة
قلت بل يفرز الخلفاء!!
وكان نسيم الطفولة ينضحُ من شقوق الجنازة
بين المخيم والشام تنبت أين اللقاء
جنازة من هذه؟ ولماذا بلا وطن؟
وكلاب الخليفة تنبح من حولها
والمخيم يحملها راكضاً والشواهد تعرقُ
قلت: فلتعرقي
واكفهرّ على تلة في البعيد الشتاء
أليست هي الأرض ملك لرب العباد؟
وهذي الجنازة أصغر من أصبعي.. فادفنوها
وأم الجنازة يكسرها الإنحناء
وجد الجنازة أعمى يتأتئ
والعينُ يرشح منها على الصمت ماءُ
فقيل لنا: مبلغٌ يحسم الأمرَ
فاجتمع الفقراءُ

فللمال أفعاله يستفز
هنا دفن الطفل في آخر الأمر
يا أرض غزة فاسترجعيه
لئلا مقابرهم تستفزُّ
وليس يهاجر في موهن الليل إلا الأُوَزُّ
عروس السفائن ان المراكب
ان لم يكن فوقها عالمٌ بالبحار تنزُّ
ويلقي بها الليل منهكةً يتناول فيها النشيج
ويرتفع البحر جيما عجيبةَ
اما تصاعد منه الضجيج
وما نقطة الجيم الا البقية من جنةٍ
انا كالحبر فيها الأريجُ
وأسأل هل نزل الطفل في قبره...
لاجئاً بين أمواتنا
لكأن اللجوء مصير اللجوجِ
عروس السفائن أسندت ظهري على خشب الشمس فيك
حريصاً على الصمت.. أستنجد البحر
ان الجماهير في شاغل والدهاقين في قمة النفط
في حكةٍ بين أفخاذهم
والزمانُ على عجل للرحيل
وقد دارت الشمس دورتها
وانتهى اليوم
والشمس ترجئ بعض الدقائق.. قبل الأصيل
خذيني الى البحر
يا أيُّهذي العروس
لقد مَلَّ قلبي ألاعيبَ أهل السياسة
والرأس أثقله الخمر
والزمن الصعب.. قبل قليل
وكل النوارس نامت
ولم يبق إلا السفينة مبهورة بالشمول
عروس السفائن يا هودجاً.. يتهودج بين الكواكب
فليمرج البحر.. ولتحمليني لوادي الملوك
أرى عربات الزمان مُطَعّمَةً
ترجو الأبدية في معبد الشمس
شامخةً (طيبة) الآن
تلبس كل مفاتنها.. نهدها في اهتزازِ
ويرتفع الحزن من فوق أكتافها
يتبارك بالموكب الملكي
ترتفع الابتهالات.. فرعونُ.. فرعون.. فرعون
يرتفع الصبح.. فرعون.. فرعون.. فرعون
يرتفع المجدُ.. ترتفع الخيل بالرسل الذهبية
أصرخ قِفْ!
يتوقف رب الزمان
وقلبي توقف في الحزن كالحجر الأردوازي
و(طيبة) شامخة نهدها في اهتزاز

رفعت عيوني الى نثر طيبة
فوق الجبين الذي مسحته الخليقة بالخمر
والإعتزاز
أفرعون يا من تُخلد أهرامكَ الموتى
أسرع هنالك من يَقتنيْ هرماً للمخازي
تقزّزَ وجهُ الإله.. وألهبَ طهرُ الجيادِ سياطاً وقرحها
صحتُ قفْ أيها السادنُ الأبديّ
فمن يملكون السدانة قد سرقوا شعب مصر
زَوّرُوا شعبَ مصرَ
وقعوا باسم مصر ومصر بُراءُ
شربوا نخبها وهي جائعة
ليس في قدميها حذاء
ولكن متى كان فرعون يصغي!
استجرت المماليك
لكنهم أرسلوا مصر فوق الجمال
لوالي الجزيرة كسوه
ووالي الجزيرة بين سراويله
الحل.. والربط.. والزيت.. والموت.. والحرب..
والسلم.. والعنعناتُ
وأكثر ما يُصرخ الأمعاتُ
ولكن لمصر مواعيدها.. للصعيد مواعيدهُ
للرصاص مواعيدهُ
والنجوم هنا لا تُعَدُّ
وليس أمام البراكين في لحظة الروعِ سَدُّ
وهذي الفوانيس تفضي لحلوان في الليل
حيث السلاح الخفي يُعَدُّ
أعدوا لهم ولعاهرهم، "ان عاهر نجد يعد"
لقد حاولوا أن يهدوا على "ناصر" قبره
فهو معترض دربهم
والقبور لهن لدى الله حَدُّ
ولكن لدى الله جند، ومصرُ الرحيمة
لا ترحم السفهاء
أنا لست بالناصري ولكنهم
ألقوا القبض ميتاً عليه
وعري من كفن نسجته قرى مصر من دمعتيها
إذاً.. سقط الآن عن بعض من دفنوه الطلاء
أقول لناصر أخطأت فينا اجتهاداً
ولكننا أمناء
وأن الذي في الكنانة مما رحمتَ فأطلقتَ بالأمس
يكافئكَ الطلقاء
لئن كان كافور أمس خصياً
فكافورها اليوم ينجب فيه الخصاء
تفتق فيه الغباءُ ذكاءً
ومن مُشْكِلٍ يتذاكى.. بدون حياءٍ غباءُ
وما عجبٌ ترسل الريح في أزمةٍ

وتلفُّ بموضعها الخنفساء
ولكن تموت على ظهرها وتكابر
مسألةٌ تقتضي فوهَ ماءُ
ومهما السجون تضم أماماً
يظل على شفة الكادحين الغناء
ومصر التي في السجون مع الرفض
أما التي في البيانات مصر البغاء
وحاشا فإن من النيل ما يغسل الدهرَ
مهما طغى الحاكمون الجفاءُ
لمن في الظلام الدماء
لمن في الظلام التوابيت تمشي
وفيم الحراسة حول المقابر
قال الذي يتلفت: ان العزيز يمر على شهداء (المحلة) بالطائرة
فقلت: هو القسط يُدْفَعُ
أقفل فمك فالمباحث من حولنا كالبعوض
وفيم العجالة في الدفن؟
أسكت!
مخافة أن يزحف الدم في القاهرة
صرخت: سيزحف.. علمني زمن بالعراق
بأن الدماء هي الآخرة...
وحين الصعيد يطوق قصر المماليك
لست أبالغ يجتمع الله في الناصرة
تقول البيانات قد قتلوا عاملاً واحداً
تكذب العاهرة
فهذا دم يجمع العرب الفقراء من الأطلسي الى صفقة في الخليج
وقد كفرت نخلة حين بيعت
واني من النخلة الكافرة
أرى الأرض تنقل أيضاً مع النفط
في الباخرة
خنازير هذا الخليج يبيعوننا
والذين هنا يمسحون قذارتهم بالقروض
لقد تمت الدائرة
لمن في الظلام الدماء؟.. سؤال يلح
وتزهر من حوله أغنية السائرين على جثث
زينتها المكائن والدم والكبرياء
ستبقى المكاتب هذي مزيتتة بالدماء
وينتج عنها قماش دماء
عروس السفائن أبحرت مبتعداً عن متاهات روحي فيك
فإني من أمة تتفجر في ليلها الصحراء
وما بدعة لا أرى في المذاهب غير جواهرها
ما بهذا انتقاء
أمد جذوري تضرب في الأرض
عن ثقة أن دهري سماء
وليس على ناظري الغشاوة فيما رأيت
ولكن على أمةٍ حَرّفَتْ مبدعيها غشاءُ

(أبا ذر) إنا نفيناك ثانيةً
حين قُلنا بمحض الفجاجةِ:
من غير روحك يبتدئ الفقراء
وما كَفَنٌ قد شَرَطْتَ وعشت به في الزمان
فناراً تحاولك العادياء
سوى أن فائض مال رفضتَ
وشرعّت أن الخلائق خَلْقٌ سواءُ
وأنك في الفكر والروح أصلٌ
ومن معجز الملتقى.. يتوحد فيك الثرى والفضاء
بنيت بيوتاً من الوهم والدمع
أين هوَ العشقُ.. أين هو العشق.. أين هو العشق.. تم البناء
بكى طائر العمر في قفصي
مذْ رأى مخلب الموت ينزل في صحبه
ويكفّ الغناء
فأنبته أن يصدح كي يسكر القفص الدنيوي
فإن انفلاتاً من الشرط بدءُ لفك الشروط
كما تتعرى مراهقةٌ تتمتع حلمتها
أن يراها الهواء
ومنذ نهارين والطائر المشرئب.. يحدق في الأفق
ماذا تراه يشفُّ الوراء
كأن به هاجساً يتقرب من خطر
أو به خطر.. انها الأرض تدخل منزلةً وتشاء
هو الآن في وحدة المتناقض
حيث يتم النقيض الجديد
ويستكمل الدورة الإنحناء
أحاورُ روحي أحاورها
وحوارٌ مع الروح ماءُ
عروس السفائن أدعو النجوم الى قمرتي
فأنا أُولِمُ الليل نذراً
وألبسُ أبهى ثيابي
فقد كنت عند نخيل العراق.. وإن كان حُلماً
وكان العراقُ على مُهره عارياً
مثلما ولدته السماءُ
وكان على عتباتِ العراقُ الفضاءُ
وبين ضلوعي فضاءٌ.. به نجمةُ
لستُ أدري بماذا تُضَاءُ
وفي نجمتي تلك يجتمعُ الله والأنبياءُ
تأخرَ عنهم نبيٌ
سُئِلْتُ
فقلتُ: يُزَيِّتُ حَدَّ السِلاحِ
فإنّ نبيَّ الزمان الفداء
عروس السفائن صار العراقُ لطول المجافاةِ حُلْماً
ولكن به دجلة والفرات
كأن من الحلمِ يرشحُ عشقٌ وماءُ
يُشيرُ إلينا العراقُ.. وفي الحُبِّ حُلوٌ يشاء

أيا وطني قد ضاقَ بيَّ الإناءُ
كأن الجمال بليل الجزيرة
سوف يطولُ عليها الحذاء
كأن الذي قتل المتنبي بشعر إبتداءُ
لأمرٍ يهاجر هذا الذي أسمه المتنبي
وتعشقهُ بالعذاب النساء
وما قدرٌ أنه في الجزيرة يوماً.. وفي مصر يوماً.. وفي الشام يوماً..
فأرضٌ مجزأةٌ.. والتجزؤ فيها جزاءُ
عروس السفائن
كُلٌّ على قَدَرِ الزيتِ فيهِ يُضَاءُ

البراءة

مظفر النواب

الأم

يا بني ظلعك من رجيته
لظلعي جبرته وبنيته
واحسب الشيب اللي من عمرك جنيته
يا بني طش العمى بعيني
وجيتك بعين القلب أدبي على الدرب المشيته
شيلة العلاكة يا بني
تنجر جفوفي بلعب عمرك عليهن
سنة وجفوفك وردتين على راسي
وبيج أناغي كل فرح عمري النسيته
يابني شوفك يبعث الماي الزلال بعودي و أحيا
وانه ميتة
أبيض عيونك لبن صدري
وسواد عيونك الليل اللي عد مهدك بجيته
وأبنك التوه يناغي الخرز بالكاروك يابني
كتله لاتخاف اليتم جده
كتله يابن وليدي من يجبر على الأيام
تلكه حزام ابوك الماطواني وما طويته
تلكه منه خطوط اضمهن حدر ضلعي
لحد ما موت بعز على السر الحويته
ياعمد بيتي وكمر ليلي
وربيع الشيب والعمر الجنيته
جيت اهزك يا عمد بيتي
يكون الدهر ظعظع عظم منك للخيانة
وساومت جرحك على الخسة وخفيته
يابني خلي الجرح ينظف
خله يرعف
خله ينزف
يا بني الجرح اليرفض شداده
علم الثوار يرفرف
يابني لبن الجلب يرضع من حليبي
ولا ابن يشمر لي خبزة من البراءة
يابني ياكلني الجلب عظم ولحم
وتموت عيني ولا دناءة
يابني هاي ايام بفرزنها الكحط ايام محنة
يا بني لا تلثم شرفنا
يا بني يا وليدي البراءة تظل مدى الأيام عفنة
تدري يابني بكل براءة
كل شهيد من الشعب ينعاد دفنه
وخلي ايدك على شيبي
واحلف بطاهر حليبي
كطرة كطره
وبنظر عيني العميته

الاخت

خوي كابلت السجن
حر وبرد ليلي ونهاري
تحملت لجلك شتايم على عرضي
واشعلت ليلي بنهاري
تالي تهتكني بخلك وصلة جريدة
كرة عيونك يخوي بهاي جازيت انتظاري
بهاي اكابل كل اخت تنتظر منك ثار لعرضها
بهاي اكابل امهات اناس وهمومي افضها
جنت ارضى اتدوس اعظامي
وكلك حيل رضها
جنت ارضى تنبح جنيني
ولا براءة عار متبركع تجيني
ولا تكون الكاع تبلعني ش خبر الناس
والينشد شكله
شلون تجابل عيون المحلة
شلون اوصفلك وانت كلك عار وذلة
بعد كالك ارض وبانا وخبز
لاتصل يمنة وهاك اخذ عار الجريدة
ولف ضميرك والكرامة
مثل ما تبريت من شعبك
تبيرنا من اسمك
ياشعب هذا التشوفه موش ابنا

يا ريحان
مظفر النواب

أشكد نده....
نكط على الضلع
ونسيت أكلك... يمته

أشكد رازقي ونيمته
وأشكثر هجرك عاشر
ليالي الهوى وما لمته

إنت سحنت الليل
بكليبي
وكلش موش أنت

****

يامه التراجي مرجحن
حسك الصافي وغفه

ويامه الدمع ضوه سواد العيون
جانت ترفه

وتدري تنيت الدفو
بلهفه ورده

وما جيت ونيمني الثلج...
والشته كله أتعده

لا بالمحطة رف ضوه و لاخط جانه من البعد
لا ريل مر على السده

والشته كله تعده كله تعده
و أعلكنه للصيف اليجي
روازينه السمره...
شمع

من ينزل أول الدفو بنيسان
يهتز نبع

يمكن يخضر دمع...
يمكن بعد بالروح ، يا ريحان وصله تنزرع

والكيظ أجانه و أنكضه ورد أنكضه
ورد كيظ أجه

والزلف هجرك فضفضه
ورد فضفضه
وما مش رجه

****

ولساع من همسه تجي من بعيد
يخضر دمع

كل نسمه ترفه من تفك الباب
يخنكني الدمع

لساع ... ولذتنه أنكضت
أهجس على الكصايب شمع

وردود أكلك ··· يمته؟؟

أشكد رازقي

ونيمته
أملني يسمر بيك

كل عمري أنكضه وأملته

حنه خيالك بالحلم

خايف يجي وأمنته

****

كل لحظه من هذا العمر

وعت حسافه بكلبي

يا أول الريحان يلعطيت

نويه بدروبي

ي أخر سوجي حنيني وحبي

من يوم طيفك هجر نومي ما نمت

حنية يا جذاب منك

ما شفت

من ظني كضك بالحلم

عنبر فحت

من ردت أجيسك جست روحي

وفرفحت

أترف من أجفاف المهر

قندون ··· ما ضايك شكر

يا حلو يا بوسة سهر···

يا ترف يا ييزي قهر

شيضرك ··· بكل شته الولهان

لو صحوة مطر؟

والشته كله تعده

والكيظ هم أتعده

شجاب العشك؟ وأشوده؟
لا بالحطة رف ضوه···

لا خط أجانه من البعد
لا ريل مر على السده

****

ولساع··· مشدوده شبكتك

عل الخصر

والركبه من تلتاف للبوسه

جسر

بس أنت تدري شون رصعة بالنحر
والشته شايل شليله

من يمنه وعبر

واسألته يا شته العشاك

ما عندك خبر

لك يا شته العشاك ما عندك خبر؟
والكي أجانه و أنكضه ورد أنكضه

ورد كيظ أجه

والزلف هجرك فضفضه
ورد فضفضه

وما مش رجه

زرازير البراري
مظفر النواب

حن ....

وآنه حن

وأنحبس ونه....
ونمتحن

مرخوص بس كة الدمع

شرط الدمع

حدة الجفن

****

جفنك جنح فراشة غض

وحجارة جفني وما غمض

يلتمشي بيه

ويه نبض

روحي على روحك تنسحن

حن بويه حن

****

عيونك

زرازير البراري

بكل نشاط جناحها

بعالي السحر

والروح مني

عوسجة بسر

ما وصل ليه النده

ولا جاسها بكطرة المطر

وصفولي عنك بالنباعي تفيض

وتعنيت ليله ...ويه الكمر

وصفولي عنك كل مسامة تفيض

منك عطر...يلحسنك نهر

تنزل بصدري ويه النفس وبدمي

غصبن تنعجن

وأشهكك وأصعدك للسمة

بحسرات وبعنة حزن
حن ...بويه حن

****

شفافك ولا كولن ورد...

عنابه معكوده عكد

تمتلي بكد ما تنمرد

لاهو دفو لاهو برد

آنه بوصفه راح أجن

****

سكتاتك تشكل خواطر بالكلب...

مالي عرف بيهن كبل

مبروم بره الريزه

ياريان ومخوصرخصر

لف العكل

كل جلمة منك....

نبعة ريحان...بالدلال...

ما تحمل ثكل

وصفولي عنك

وردة القداح ريش جناح

زاهي بالسحر

وصفولي عنك

شال منك غيظ بستان الورد

والنرجس الرايج سكر

حني بفوازير ولحن...

حنة حمامات السجن

حنه إلي...

وجنه إلك...

واللي يعجبه خل يحن

حن بويه حن

****

آنه من أشوفك

يمتلي الماضي الجدب

زهرات بيض من الوفه

وروحي سواجي من الحنين تصير

وأتنبه وكت بيه غفه

يا محجل إن مريت بيه ردود

أرد أردود للعشرين...

من عمر الجفه

وأنصف عمر منك

نصفته بالهجر...

والهجر منك ما كفه

حتى الهجر يا روحي

منك ما كفه

وكلبي أعله هجرك كام أيحن

حن... بويه حن

****

حن ....

وآنه حن

وأنحبس ونه....

ونمتحن

مجبور أرخصك على الدمع

شرط الدمع يجوي الجفن

وَمَاهُمْ .. ولكنّه العشق

مظفر النواب

هامَ
لم يَدرِ
متى أطفأهُ الشوقُ
وأين احترقا !
سنَةٌ
ما بين كأسين
غفا
ثُمَّ صحا
واغتبقا ..
سقطت زهرةُ لوزٍ
عفة
في كأسه
أجمرت عيناه شوقاً
وتلظى شبقا
تركت من تاجها
في خمره
غيمة تغرقُ
فاستلَّ إليه الغرقا
تطرق الحانة
في أطرافه
حزناً
فإن حدَّق ،
صارت حَدقا ..
عرف الدنيا ،
طريقاً
بين كأسين ،
فشقّ الدمعُ في خديه منها ،
طُرُقا
صحبُهُ ناموا على أعناقهم
وغدوا
من طاولات الخمر
إلا رَمقا
وهو ينضُو
بين أعناق القناني ،
عُنُقا
وبعينيه
يلمُّ الغسقا
يدفع الكأسَ
لكفَّي خلّه
ربما ينشر
فالقنينة الكبرى
اشرأبَّت
والضُحى بالبابِ
رشَّ الحبقا ..
يا مويلاي !
على الصمت ،
نداماها ثقالاً غادروا
مِزقٌ تسحبُ منهم
مِزقا
أخذتهم طُرُقٌ ....
عادت سريعاً دونَهم
أين أخفتهم ؟!!!
وكيف البحث في الدهر؟!
وأين الملتقى ؟!!
بهجتي كانوا ...
فلما خَلَتْ الأيامُ من ضحكاتهم
ضحكت في عُبِّها ،
مما أناديهم بعُبي
فارغٌ قلبي وملأنٌ
بهم
وجديدٌ
رابني كم عَتُقا
أسمعْ القُبرة الصفراءَ
تنعاهم
تمطُّ الأفقا
والعصافيرُ على طاولة الخمرِ ،
فراقٌ ولقا
يتنهّدن بقايا خمرهم
ويُنفضن ،
الندى والألقا
لا تَمُت ! يا صاح !
مما خلت الحانةُ منهم
طارت الزهرة
في الريح ،
وظلّت عبقا
لا تمُت
لسنا قناني عرقٍ
فارغةٍ
يقذفها الدهرُ
بنا قد سكر الدهرُ ،
وقطرناه في كأس الليالي ،
عرقا
ثمل الله بنا ،
مما فهمنا أدب الشُربِ
وأنهينا القناني
حيرة ،
في لُغزهِ
سُمَّاره كنا
وكان الأرقا

سيدي !
مولاي !!
لا تغفُ
تأمل زهرة اللوز
أمن ربعيّةٍ ملت ؟!!
أنا الأيامُ لم تقدر على رأسي
وقد يثبت رأسٌ
قلقا
إن أكن أطبقت جفنيَّ
فأصحو داخلي
وإذا كأسيَ ،
مالت
فكما البلبلُ ينسابُ
أنيقاً
للسقا
يا لكأسي وجبين الصُبح ،
كم مالا على بعضهما !
ليس في الحانة غيري
وأخو "الفتحة "من أياهُمُ
يكتبني !!!
أنا يا (....)انقلابٌ أبيضٌ
من عرق
قطره الدهرُ ...
فمن أنت ؟! ومن فوقك ؟!
أو فوقكما ؟!!
سبحانه ماذا من الوردة ناساً
ومن الأقذار ناساً
خلقا !
طائرُ اللّذةِ
مُلقىً بين ضلعيكَ ،
سجيناً
خُذ رُشيفاتٍ
وحرِّره قليلاً ..
ربما يشتاقُ من نافذة الحانةِ
للهِ ...
ويُغري الأفقا
أنا لم أشركْ
ولم ألقَ سوى الحانة هذي !
أغلق الأبوابَ في وجهي مراراً
وطني...
أظنُ الغربة الخرقاءَ ،،
تستكثرُ منها كوَّةً
أصرخ منها ألمي ..
فحشتها خُرَقا !
ربِّ سامحهم وأن لم يسكروا ...
كيف يشتاق إلى خمرة جناتك
من لا يعرف الخمر
ويشتاق صباياها
إذا كان هُنا ما عشقا ؟!!!
هائمٌ
لم أدرِ
ماذا أسرَ الشوقُ
وماذا أعتقا ...!؟
سقطت زهرة لوزٍ
غيمة
في قدحي
يا رب ما هذا النقا ؟!
غرقت ..
لم أستطع إنقاذها
أصبعي زاغت من السُكرِ ،
وقلبي شَهقا
ما لها الكرمة لا تعرفني ؟!
أمس رقرقت لها
خمرتها
وأنا اليوم على خمرتها
دمعي وأمسي ..
رقرقا ...
طينتي ، قد عُجِنت كأساً ..
فماذا كوَّرَ الطينةَ
شعراً ؟!!
أنتَ يا ربُّ ؟
أم الكورُ ؟!
أم الطينة طابت خُلقا ؟
نطنطَ العصفورُ
فيما قد تركنا
من فُتات
وسفحنا حُرقا .
ولوى من عنقه الزيتيِّ
حتى مسَّ قاع الكأسِ ،
يا أبلهُ !
لم نترك
ولا مثـقال سُكرٍ..
أبلهٌ من عوقا
أدعُ ..رفقاتكَ
يؤنسن حجار الحانة القفراء
إن كان يُسمى حجراً ،
من عاشَ في خمارةٍ
لو سَكتَ السُمارُ يوماً
نطقا
يا سُكارى بعدنا ..
إن سقطت في كأسُكُمْ
غيمةُ وردٍ ..

أذكرونا ،
رشفةً
كنا نوازي الدهرَ .. أو نسبقُهُ
عشقاً ،
رعى الله زماناً ،
وسقى ..
إن أكن أفرطت ..
يا مولايَ !
فهل يقتصد العاشقُ
أم يأبقُ عشقاً ؟!!
ضاقت الروح
وعظمي من صدود ، أبقا
قفصُ الدهر ،
كما أنت ترى ،
ضايقني ..
واشتهتني لغةُ من خارج الدهرِ ،
فهزَّته ..
فما بال فؤادي ،
للذي يُسجنُ فيه
أشفقا
هاجني غُصنٌ نَسيمٌ
راقص بالزهرِ
والخمرُ برأسي لعبت
أهو ذنبي ،
زهرة من قطرة قد سقطت ؟!!
ذنب من مولاي !
لم يبقَ من البستانِ إلا وهم عودٍ
صامتٍ
لست سفيهاً
أبلهاً ..
أسأل عن زهري
ولم تبقِ عليَّ الورقا ..!
أغمدت في قدمي ..فامتُشقا .
الصبوحان بكأسي ...
سيدي !..
ربما أأمن للزهرة كأسي ،
من مهب الريح ،
أغضب مثلما شئت
فعشقي لم يساومك على شيء
وما الجنة والنارُ
سوى نارين
فيمن عشقا
أغمدت
فأستلَّت السُهدَ
وقد كنتُ نويتُ
الغسقا
شمتُ
لو أعلم ما شمت .. وأتعبتهما
كذب الغيمُ ،
على حاليَ ،
والصحوُ
وإن قد صدقا
سيدي !
من عجب في داخل السُكرِ
أصلي .. صادقاً
مهما تجازيني سراباً
أدمعي تسقيك في بحرِ النقا
همتُ...
لا أدري ،
عصافير الضُحى
من قدحي ... من صاحبي ...
كلهم طاروا ...
لئيمٌ صاحب الحانة
لم يرحم بقاياياَ بهم
خُذْ أباريقك
إني منك سكرانٌ
سأمضي خلفهم
ربما ألقاهمُ ...
أحجز كراسي الأمس
لم نندم ،
سدى لم يكتف العمر ،
وإن كنت غششت العَرقا .
اسمعْ القُبرة الصفراء
تنعانا
تمطُّ الأفقا
يا خطايا ! يا خطايا !
كم كبيرٌ هذه الأيام من كان خطايا
أنا منهم
توبتي
لم أنكسرْ ،
إلا لتقبيلِ نُهيدٍ نَزِقا
إن يكن تاب السكارى !..
أنا بالسكر أناجيك
فما جرحيَ بالريش ، ولا يا ربُّ
بالريش التُقا

ليس بي فاحشةٌ
إلا بأني
لِذتي أكثر مني خُلُقا

١٩٨٤/١١/١٩

مع الشاعر العراقي مظفر النواب

"التأجج" لم ينطفأ والجمالي باق في ذاكرة الناس

- **برلين-من اسماعيل زاير:**

مظفر النواب شاعر عراقي اشتهر بقصائده العامية والفصحى، وبإلقائه القصائد بأداء خاص وفي أجواء حساسية سياسية.

هذا اللقاء معه حول مصادر شعره وأفق هذا الشعر بعد انتهاء مرحلة يصفها بأنها كانت "متأججة":

- الآن وبعد انحسار الموجة وهدوء المياه، أين انتهت تلك الحماسة الغامرة التي رافقت مرحلة الستينات، والتي كنت في المركز منها؟

- التغيرات كانت حادة، والتطور لابد ان يأخذ أبعاده، فإذا كانت هذا التطور أخذ شكل حماس او تأجج، فقد بدأ يأخذ أبعاداً أخرى، وبدأ المرء ينظر الى العالم على نحو أوسع. والتغيرات التي أصابت العالم كله لابد من ان تترك أثرها في تطوير المفاهيم والقناعات، أقول تطوير القناعات وليس الغاءها.

لا أزال على رغم التقدم في السن، وعلى رغم المتاعب التي تسببه الغربة يوماً بعد يوم وثقل القضايا ووطأتها على النفس، لا أزال أمتلك الحماس نفسه ولكن بشكل أعمق. ربما كان انفعالي يوماً ما حاداً ولكنه الآن يأخذ أبعاداً أخرى وفي الأساس والجوهر يبقى التأجج موجوداً لذلك عندما يأتي أي ظرف فيه أحداث معينة او اندلاعات معينة حادة، أجد نفسي في الجو الذي كنت فيه من اندفاع للكتابة وحماس على رغم تقدم السن.

أعتقد ان فترة الخمسينات وما بعدها كانت مرحلة هائلة، حتى صعود الأنظمة الفاشية في المنطقة. تلك المرحلة انطوت على زخم هائل للتحويل والتطوير، وهي قطعت ونبحت بحدة. لا تزال تلك المرحلة تعيش فيّ ولم تضع كما قد يكون حصل لبعض الناس. ولذلك لا يزال عندي العنفوان السابق للكتابة عن الأحداث التي تحصل، خذ مثلاً أحداث الأرض المحتلة، فهي لا تزال تشعلني حقيقة. وكذلك أي حدث في العراق او في المنطقة وفي العالم، أي حدث حقيقي له أبعاد إنسانية.

- يسال ناقدوك: ما الذي ترسب وثبت من مرحلة التأجيج تلك عند مظفر النواب؟

- قد يبدو للمراقب غير الدقيق ان اللغة الحماسية فترت وافتقدت جذوتها، انما الأمر على غير ذلك، فالذي حصل ان هذه اللغة بلغت أعماقاً أبعد. ثم اني لا أعتقد انه كان هناك بحث عن جدوى أساساً. كانت الكتابة الشعرية مثل الرسم من أجل ان يعيش الانسان او ان يخوض في عمق زمنه، أي ان أعيش زمني بعمق، ان ألتزم بزمني بشكل جيد. ومن دون امتلاك الروح المتأججة بالثورية لا أعتقد انني قادر على الاحساس بأنني عائش بشكل جيد. وأفهم جيداً بابلو نيرودا عندما يكتب في مذكراته "أشهد بأنني قد عشت" انه شارك في عصره وفي خضم أحداثه، لذلك تراني كذلك، ليس فقط في الشعر بل أيضاً في حياتي العملية، من السجن الى اريتيريا الى ظفار الى الثورة الفلسطينية في الأردن، خضت مع الفدائيين عمليات داخل الأراضي المحتلة وفي الأغوار. مارست كل ما يشعرني اني أعيش زمني وعصري، ويشعرني ان في أمكاني ان أساهم من خلال ما أكتب في مساعدة الآخرين على تحمل العبئ. الغناء يساعد على تحمل العبئ. النوق مثلاً عندما تمشي في الصحراء يساعدها الحداء على تحمل العطش ويجعلها أكثر قدرة على الصبر، فكيف بالإنسان وهو أكثر حساسية للغناء؟

- واضح انك راض عما فعلت، ما قولك في ما يقال من انك أسهمت في تأجيج حالة سياسية سلبية، أدت في ما أدت الى الهزائم؟

- للهزائم أسبابها وظروفها الموضوعية التي أدت إليها. طبيعة الأنظمة، طبيعة علاقة الغرب بهذه الأنظمة بشكل عام، وعلاقة الولايات المتحدة بشكل خاص وأساسي، الوضع الاقتصادي وكل العوامل الموضوعية التي أدت الى ما أدت اليه، وأهمها تقوية اسرائيل على حساب المنطقة الخ. الشعر كان يحاول ان يخوض المعمعة في المواجهة كمعركة حضارية واسعة، احدى واجهاتها الأخطر هو الجانب الحضاري.

حضارياً أعتقد اننا على رغم الهزائم لم نهزم، والحضارة العربية الاسلامية، حضارة هذه الأمة، لم تهزم بعد. يجوز ان تكون حصلت اختراقات هنا او هناك، او أصوات منهزمة، ولكن، كجبهة عامة لا تزال حضارتنا قوية. والذي تعمل عليه

اسرائيل الآن هو اختراق هذه الجبهة. ما الذي تقصده اسرائيل بالتطبيع؟ اقتصادياً ممكن يمشي كل شيء، سياسياً يمكن ان تعترف بها الأنظمة، ولكن على الجبهة الحضارية، الجبهة الثقافية، الاختراق صعب. ونحن نرى الموقف الشعبي المصري وموقف المثقفين المصريين في مواجهة التطبيع، او في الأوضاع العربية الأخرى بشكل عام. إذاً، أنا ما أججت وضعاً أدى الى ما أدى إليه هذا، بل الظروف الموضوعية تسببت بذلك. ولا أزال مصراً على التصدي، على المواجهة، على المقاومة، ومتمسكاً بكل مفردات المجابهة.

- لننتقل الى الشاعر، الى قصيدة مظفر النواب. هل كنت موقناً انك كنت موقنا انك كنت تبحث عن حداثة ما في الشعر، او لنقل باللغة المألوفة: ما الحداثة بالنسبة إليك؟

– تأتي الحداثة من القدر الذي استوعبته من معطيات عصرك، كم هو أفق نظرتك وخيالك وشفافيتك وحساسيتك، كل هذا مهم للعمل الشعري. هذا هو الذي يخلق التجدد من دون ان تعلم، ان تجلس قائلاً لنفسك أريد ان أجدد وتكتب كتاباً، هذا ليس تجديداً، بل هو اما تنفيذ لنظريات وآراء.الخ. الشعر ليس هذا، الشعر ملامسة هائلة لأسرار الوجود، في لحظة الملامسة هذه تكون شفافاً بالقدر الذي تكون فيه قادراً على التعبير عن هذه الملامسة. ولكن ان كنت تريد تنفيذ نظرية فلا يمكن ان تصل الى هذه اللحظة اطلاقاً. لأنك تكون مشغولاً بما أنت مكتظ به من مسائل نظرية. هذه يجب ان تشتغل في الخلفية.

- ما هو ثوري من هواجسك، السياسي من جهة والمعرفي من جهة أخرى، أي منهما كان أكثر جذباً للحساسية الشعرية؟

– للإجابة أود ان أشير الى ما يعرف في التراث الاسلامي – العربي بالعرفان. والعرفان هو غير المعرفة، بل المعرفة القلبية او الادراك القلبي. وبمعنى آخر بالمصطلح الحديث هو الإدراك الذي ليس فيه حساب مقدمات مثل واحد + واحد = ٢، هذا حساب معرفي. العرفان هو تألق، نوع من الومض الذي يحصل في دواخلك ويجعلك تدرك بعض القضايا من دون أولياتها. ما هو واضح بالنسبة للشاعر خلال الكتابة هو هذا القدح الذي الذي يجيء، وأحياناً يضيء أبعاداً مستقبلية من الصعب حسابها موضوعياً.

- التداول ما بين الكتابة بالعامية العراقية وبالعربية الفصحى، لماذا وكيف حصل في تجربتك الشعرية؟

– كتبت بالإثنتين، وترافق المتنان منذ بداياتي الأولى. وجاء قربي الشديد من العامية من الأجواء التي عشتها، الطفولة وهدهدات المهد، الأهازيج والسبايات، الأعياد والأراجيح (أو الأرجوحات). في البيئة التي عشتها كنت أتلقى كل ما حولي بالعامية، الجو كله كان مشبعاً بالعامية المشحونة بالذكريات والحساسيات التي تولد معها، هذا جانب. أما الجانب الثاني فهو ان للعامية قدرة عالية على ملامسة الناس في العراق تحديداً. الآن أصبحت أوسع من ذلك، فتجد قاعدة لفهمها في الأردن وفلسطين وغيرهما. وانتشار العامية العراقية يجري كما انتشرت قبلها العامية المصرية وأضحت مفهومة من جمهور عربي واسع. هكذا العراقية العامية بدأت تأخذ أبعاداً أوسع، وأنا لا أعتبر ذلك خطأ. من ناحية ثانية فالمفردة العامية او الصيغة العامية لها قدرة على تأجيج الناس أكثر مما تفعل العربية الفصحى، خصوصاً في الأوساط الشعبية ولا ننسى وجود نسبة عالية من الأمية في بلداننا.

الجانب الثالث هو ان العامية تتمتع بغنى جمالي موروث وغير مدروس جيداً، خذ "فدعه" او "الحاج زاير" ونماذج أخرى لم يكن الكثير منها منتشراً، بل الذي كان له حظ الانتشار هم الشعراء الشعبيون في المدن مثل الملا عبود الكرخي، الذي يتميز بكونه ساخراً وناقداً، لا أعتقد ان في شعره بناء او صيغاً جمالية عالية، وقد تكون جماليته في السخرية والهزء والتجريح، هذا الموروث الذي تتمتع به العامية يجعلك تفتح عينيك على جماليات لا تمتلكها الفصحى.

والجانب الرابع هو عامل شخصي، فقد كنت أسمع فقط الشعر الموجود في بغداد او المغنين الذين نسمعهم في الاذاعة العراقية، الى ان رحت في عام ١٩٥٥ او ١٩٥٦ الى أهوار العمارة (احدى مدن جنوب العراق الرئيسية) والتقيت هناك بمغنين هم غرير وجويسم وسيد فالح، وقد ذهلت فعلاً بغنائهم. وتكشف لي عالم مهمل، لكنه مليء بالجمال ويمكن ان يسد حاجة كبيرة في امكانيات الخلق لدي، كما لو وجدت طينة معجونة جيداً ومخمرة جيداً لتصنع منها تمثالاً، عالم مختمر، بما فيه من الطين والماء والقصب وأصوات الجواميس، كنت أمام عجينة حية تماماً تنتظر احداً ممن لديه فهم للمعاصرة الشعرية الحديثة ليتنبه إليها وليشتغل على المادة الخام الهائلة التي لا تنضب منابعها. كما كتبت عن مناطق الهور من قصائد ولكن، حتى الآن أشعر أنني لم أعمل شيئاً نهائياً، هذا العالم المختمر يكفي كمنبع لأعمال ابداعية هائلة، وأنا لا أعتقد أن السلطة في العراق تخاف من الهور فقط، لكونه مكاناً للتمردات بل هناك خوف من الجمالية الموجودة في الهور، خوف من الجميل يشعر به القبيح لأنه يفضحه. لذا فإن هناك اتجاهاً لإنهاء وتدمير هذا المنبع، ومن ثم لإنهاء الشعر الذي يكتب عنه.

- بعد هذه السنوات من تجربتك في الشعر العامي، هل ترى حالات ابداع تتناسب مع ما ذكرت في داخل العراق او خارجه؟

- لا أعرف ما الذي يحصل في الداخل لأنني بعيد ولا يصل إليّ شيء منه. والتجزيء الحاصل ما بين أقطار الوطن العربي تجعل الإتصال بأوروبا او أميركا أسهل من الإتصال ببلد عربي آخر. القصائد العامية العراقية لم يصلني منها سوى ديوانين او ثلاثة عبر أشخاص عابرين بالصدفة. لكني متأكد من وجود كم جيد. أتذكر أسماء كثيرة كانت واعدة ولكن هل هي صمتت في النهاية؟ لا أستطيع الجزم. قد لا تكون الظروف تساعد على ايصال اعمالها، خذ مثلاً عريان سيد خلف و علي عبدالحسين وغيرهما لا نعلم ما يكتبون وما يفعلون، الجو سيء جداً، والذي يعيش أجواء احتقان واختناق لا يستطيع ان يكتب. حتى المنافذ المساعدة على التنفس او الإيصال غير موجودة. أما في الخارج فان الكتابة بالعامية العراقية محدودة جداً، وقد لا تجد غير رياض النعماني.

- قراءة قصيدتك تحيلنا الى تداعيات وأسئلة عن مغزى بعض المفردات مثل الموت، العشق، الجسد، الصداقة. ما الذي عنته لك هذه المفردات؟

- الوجه الآخر من الديكتاتورية هو الرعب من الموت. ليس ثمة ديكتاتور غير مرتعب من الموت. وهو لمشاغلة نفسه تراه يضطهد البشر. ليس ثمة عشق الا ويكون جانبه الآخر هو الموت. التعلق والوله يعكسان الخوف من الموت، وعندما تتحرر من هذا الخوف وتجد أمامك الزمن كله، فمن الصعب تصور الحياة من دون الموت.

- هل كان الموت دافع أول لقصيدة ما من قصائدك؟

- ضمن القصائد كلها يمكن ان تجده. لكني لم أكتب قصيدة محددة بهذا الدافع. وعلى رغم قناعتي بعدم انتفاء الكائن البشري وانتهائه، إلا انه من الصعب تقبل ان يموت أمامي إنسان أعرفه وكان يتحدث معي ولديه عواطفه وأحاسيسه وسيصبح تراباً ويأكله الدود. صعب استيعاب الأمر وتهزني التجربة من الأعماق على رغم قناعتي، تتصارع القناعة مع المظهر المادي الذي يحصل أمام عيني. وهذه هي أزمة كلكامش مع انكيدو.

- هل توافق على القول الشائع ان العراق زبون جيد للموت، او ان الموت أحد عناوين القصيدة العراقية والمشهد الثقافي العراقي؟

- صحيح، ثمة انطباع شائع ان الرسم العراقي والشعر العراقي ممتلئ بهذا الشيء الذي يدعى الموت. لكن ما يشغلني ليس هذا النوع من الموت. فهو يصح ان يدعى إبادة او قسراً، انها لحيوات قبل مواعيدها، انها لطاقات هائلة قبل موعدها. هناك مواعيد طبيعية لموت الكائن البشري، وهذا ما أتحدث عنه.

المصدر: جريدة الحياة - لندن
يوم السبت ٢٧ مايو ١٩٩٥م
العدد رقم ١١٧٨٣

تشكيل بالطين ونحت بالصخر

مظفر النواب يتحدث عن القصيدة الأولى ومزاوجته بين العامية والفصحى أو الطين والصخر وموقفه من شعراء الحداثة

- **لندن: معد فياض**

كتب مظفر النواب قصيدته الأولى "الريل وحمد" بين عامي ١٩٥٦-١٩٥٨، وما تزال هذه القصيدة تشكل محطة أساسية في تاريخ الشعر الشعبي او العامي في العراق والبلدان العربية.

ومنذ ذلك التاريخ ولحد الآن تنتقل قصائد النواب بين الناس بوسائل مختلفة، اذ ان أغلبها ليس مطبوعاً في ديوان. وفي العراق يتداول الناس اليوم قصائده مثل منشور سري، اذ ان شعره ممنوع هناك. لكن صوته يصل إليهم عبر أشرطة الكاسيت المسجلة، ويزور النواب لندن الآن لاحياء عدد من الأماسي الشعرية، كانت أولاها الأمسية التي أقامها يوم السبت الماضي في قاعة "بلومزبري" وحضرها عدد كبير من عرب المهجر في بريطانيا ، وخصص الشاعر القسم الأول من أمسيته التي استمرت حوالي ساعتين ونصف الساعة للقصائد الفصيحة ، والقسم الثاني للشعر الشعبي. وعلى هامش الأمسية كان هذا اللقاء معه:

- هل ما يزال الشعر ديوان العرب وشاغلهم، ام ان القصة والرواية باعتبارهما فناً مدينياً احتلا الساحة الأوسع؟

- اذا كان هناك ما يقلص انتشار الشعر وسطوته بين الناس فهو ليس بسبب الرواية او القصة او الفنون الادبية الأخرى، وانما طغيان الحاجة المادية والفقر الذي احتل مساحته بين الناس وهموم الوطن العربي بسبب المجاعة والقمع وانعدام الحرية والديمقراطية، اضافة الى دور الفضائيات المخرب، وهنا أتحدث بشكل عام، فتخريب اذن ورؤية المتلقي هو العامل الذي يؤثر سلباً على انتشار الشعر وتغلغله بين الناس.

اما كون الرواية ابنة المدينة والشعر وليد الريف او البادية فهذا غير صحيح اطلاقاً، فالشعر العربي كان في الحواضر العربية، في بغداد ودمشق ومكة المكرمة والمدينة المنورة، والشعراء العرب المهتمون كانوا في الأساس أبناء مدن وتطورهم الهائل ارتبط بتطور المدينة. ويضرب المثل عن الشاعر ابن الجهم، ان صحت الرواية، عندما دخل على الخليفة وهو قادم من الريف وقال له: أنت كالكلب في حفاظك للود / وكالتيس في قراع الخطوب. وأدهش الجمهور الذي كان جالساً، فقال الخليفة -اعتقد انه أبو جعفر المنصور- أتركوه، ومنحه بيتاً مترفاً على نهر دجله وخدماً هناك، فرقت حياته وترفت مفرداته وقال: عيون المها بين الرصافة والجسر / جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري، وقد تكون الرواية غير صحيحة لكنها تضرب كمثل في تاريخ الأدب على أن المدينة والترف يؤثران في مفردات وصور الشاعر. فإذا كانت القصة او الرواية تستوعب تعقيدات الحياة في المدينة فالشعر ايضاً يستوعب ذلك -للشعر منحاه وللرواية منحاها كبقية الفنون الأخرى من رسم ونحت وموسيقى- وعندما يكون للشاعر صوته وتجربته الشعرية التي تسند ما يطرحه في القصيدة، وأن يكون فناناً، فالشاعر فنان ، وملّون جيد قادراً على بناء قصيدته باحكام، فالناس تنصت له وبالتالي تصل قصيدته. أنا أجد في أغلب الأماسي الشعرية ان القصيدة تصل الى الناس رغم قلة دواويني وأدهش أحياناً لكيفية وصول القصيدة الى الناس في بعض الأقطار العربية. اذاً لا يزال للشعر نفوذه وسطوته.

الشعر والنجومية

- هل تؤثر ظاهرة نجومية الشاعر، او الشاعر النجم، على الناس على حضور الأماسي الشعرية؟

- عندما تعرف الناس ان هذا الشاعر تسنده تجربته وانه شاعر حقيقي لا يتلاعب بالألفاظ او (الشعوذات) كما أسميها انا، فالناس تحب سماع شعره وهذا لا علاقة له بنجومية الشاعر بل بعمق ما يطرحه الشاعر، عمق تجربته وفهمه للغة وتطويعها. أما النجومية فتظهر في فترة معينة ثم تنطفىء. النجومية لا تكفي على الأطلاق وبإمكان الناس ان تميز وتكتشف الشاعر الحقيقي عن سواه.

- أنت تكتب الشعر العامي (الشعر الشعبي العراقي) والشعر بالعربية الفصحى، فأين تجد نفسك بين الاثنين؟

- للشعر العامي مزاياه وعالمه، وللشعر الفصيح ايضاً مزاياه وعالمه. ان ذلك يشبه الشغل على مادتين مختلفتين تماماً، فعندما تنحت على الصخر غير ان تشكل تكوينات بواسطة الطين.

- أيهما الطين، وايهما الصخر؟

- الطين، القصيدة العامية، كون العامية مطواعة وبعيدة عن موضوع النحو والإرث البلاغي الذي يشد شاعر الفصحى بأبعاد معينة، ثم ان اشتقاقات العامية وتراكيبها تمنح الشاعر سعة وحرية في اشتقاق أية مفردة ربما غير موجودة أساساً وتؤدي معناها. في الفصحى لا يمكن ذلك، فالإشتقاقات لها قوانينها النحوية، وهذا لا يقلل من شأن الفصحى على الإطلاق، فلها طبيعتها النحوية وهو ما أسميه النحت بالصخر. فهناك نحو وقوانين لغوية وقواعد بلاغية وهيمنة تراثية. لهذا عندما يحاول شاعر الفصحى ان يكتب قصيدة حديثة يتحرر فيها من كلاسيكية اللغة تكون له معاناته -هناك من يتحدث عن تفجير اللغة، لا يوجد مثل هذا المصطلح، هذا ضحك على الذقون، هناك تطوير للغة وتعامل معها بمحبة وود لتكون قريبة وصديقة.

أما العامية فهي مثل الطين المختمر. في أول زيارة لي لأهوار جنوب العراق شعرت بذلك، الهور مائي وطيني وطبيعته إنسيابية والماء فيه يتشكل، كذلك الطين، بأشكال عدة وأيضاً يجب التعامل مع العامية بمحبة حتى يتشكل هذا الطين مثلما نريد.

- هناك حملات دائمة واتهامات مستمرة للشعر العامي، في عموم البلدان العربية، كونه مضاداً للثقافة العربية ومن عوامل تشتيت الإنجاز العربي الإبداعي ، ولكونه أيضاً محدوداً داخل البلد او المنطقة الواحدة؟

الفصحى والعامية

- الإتهامات ضد العامية فيها تجن كبير. العامية لهجة لها ارتباط كبير وواضح باللغة العربية الأم، هناك اتهام على أساس ان العامية هي لغة شعوبية وهذا خطأ كبير، فاللهجة العراقية يفهمها كل العراقيين، صحيح ان هناك بعض الاختلافات في المفردات بين الشمال والجنوب او الغرب والشرق، ولكن من الممكن كتابة قصيدة عامية يفهمها كل الناس. ثمة مفردات اذا كانت غير مفهومة فالمتلقي يبحث عن معناها ويفهمها -قصيدة "الريل وحمد" يقرأها ابن الموصل مثل ابن العمارة او البصرة بل حتى من خارج العراق، وفي الخليج العربي وليبيا والجزائر. لقد تفاجأت ان هناك في الجزائر من يحفظ قصيدة "الريل وحمد" ويستوعب صورها. وكون اللهجات العامية تؤذي الوحدة العربية، فهذا أمر مضحك، العامية قادرة على الإثارة والتحريك أكثر من الفصحى. عندما تكتب قصيدة بالعامية حول أوضاع معينة يعيشها الناس، فإنها تحركهم أكثر اذ يتداولونها ويحفظونها، ونادراً ما نجد الآن من يحفظ قصيدة فصحى حديثة، او أن تبقى بعض أبياتها بين الناس. اذاً القصيدة العامية ليست شعوبية، وهي أيضاً ليست معادية لوحدة الأمة العربية، بل هي إغناء للشعر، وفيها مادة لا تستحملها قصيدة الفصحى وفي الوقت نفسه من غير الممكن، مثلاً، ان تتناول موضوعاً فلسفياً بالعامية.

- ولكن هذا موجود في قصائدك فأنت تتطرق لمواضيع فكرية في قصائدك العامية.

- في اطار عدم تحميلها اكثر من طاقتها، القصيدة، حتى الفصحى، عندما تحملها مادة فكرية اكثر من طاقتها لن تكون شعراً بل فلسفة بحتة.

- أنت شاعر عامية ام فصحى؟

- الاثنين. في القصيدة العامية أتحدث عن اوضاع العراقيين، قضايا الفلاحين مثلا. العامية أكثر ايصالاً، أكثر شجناً. في القصيدة الفصحى أتناول قضية عربية أكثر شمولاً، فقصيدة "آر.بي.جي" التي كتبتها بالفصحى عن الفلسطينيين وسلاحهم، او القصيدة التي كتبتها عن الشاب خالد الفلسطيني الذي هبط لطائرة شراعية وسط معسكر اسرائيلي، حققتا تواصلاً كبيراً مع جمهور الشعر، وتطلبان مني في الأماسي التي القي فيها قصائدي. إذاً للقصيدة الفصحى أبعادها وخصوصياتها.

- تحدثت عن قصيدة "الريل وحمد" التي كتبتها عام ١٩٥٦، فما يزال الناس في العراق يحفظون ويغنون هذه القصيدة التي ارتبطت بوجدانهم، وكلما ذكر مظفر النواب ذكرت هذه القصيدة، فما هو سر "الريل وحمد"؟

- الريل يعني في لهجة جنوب العراق القطار، وقد كتبت هذه القصيدة ولم يكن يدور في ذهني اني سأطبعها في يوم ما، او انها ستنتشر هكذا، وتثير كل هذا الاهتمام، كتبتها لانني شعرت بها، شكلت لي بهجة داخلية، غناء وجدانياً، وكنت اكتبها في ظروف خاصة واضعاً القلم والورقة تحت وسادتي ناهضاً ليلاً لأدون بعض المقاطع في الظلمة ثم أنام. كتبت هذه القصيدة عام ١٩٥٦ وأكملتها عام ١٩٥٨، وأخذها علي الشوك من دفتري ثم نشرها دون علمي، وكتب

عنها الشاعر سعدي يوسف وقال ما معناه ان شعرنا العربي تسيطر عليه الهوية العالمية وهذه القصيدة زهرة نادرة في بستان شعرنا العربي، وأعتقد ان سعدي يوسف لخص قضية أساسية هي ان طبيعة هذه القصيدة لها هويتها، وهي ليست هوية الشعر العالمي او القصائد المكتوبة بالفصحى او القصيدة العامية التي كتبت في السابق، واعتبرها نقلة من القصيدة العامية التقليدية الى مناخ جديد. لقد فتحت "الريل وحمد" بمفرداتها المتداولة بين الناس أبواباً جديدة أمام القصيدة العامية. ومن العوامل التي أثرت في كتابتها ممارستي للرسم، والأجواء العائلية المشبعة بالموسيقى -كان والدي يعزف على العود، ووالدتي على البيانو والأجواء الكربلائية. كل هذه العوامل لعبت دورها في بناء القصيدة، وتشكيل عالم مختلف في "الريل وحمد" عن غيره في القصائد العامية الأخرى.

موسقة اللغة

- لكن بعد قصيدة "الريل وحمد" بسنوات بدأت القصيدة العامية لديك تأخذ منحى آخر، وذات صور أكثر تعقيداً ولغة أكثر صعوبة؟

- لا أبداً، حتى عندما كتبت "الريل وحمد" هناك من قال انه من غير الممكن ان يتحدث فلاح بهذه اللغة. أنا لست فلاحاً، أنا شاعر ولي عالمي وأبعادي، والشاعر ينقل عالمه، والشاعر الذي لا ينقل عالمه الخاص فهنالك كما أعتقد نقص في تجربته الشعرية.

- هل تجد هناك من يفهم قصيدتك العامية من الجمهور العربي. اعني غير العراقيين؟

- بالطبع، هناك الكثير من قصائدي العامية تطلب في أماسي شعرية من قبل ليبيين او جزائريين، مثلاً. ففي أمسية شعرية في ليبيا كنت أقرأ قصائدي المكتوبة بالفصحى وفوجئت بأحدهم يطلبي مني قصيدة عامية (مو حزن لكن حزين). وفي أمسية شعرية لي أخيراً ببرلين جاءت سيدة عربية وليست عراقية وقالت انها لم تفهم أغلب المفردات لكنها ستبحث عن معنى هذه المفردات لأنها تفاعلت مع أجواء القصيدة. وكنت قد أقمت الأمسية في دار الثقافات العالمية ببرلين. وهذا الإنتشار ليس خطأ، العامية المصرية، او اللبنانية منتشرة في كل مكان، العامية تفتح آفاقاً جديدة حتى أمام الفصحى.

- هل تخضع القصيدة العامية لأوزان وبحور مثلما الفصحى؟

- لا، أنا بطبيعتي لا أدقق مع قصائدي، وعندما كنت طالبا في الجامعة كنت أهرب من دروس العروض في الشعر، وفي القصيدة الفصحى عندما أجد أي خلل أعود الى ذهني لأبحث عما تبقى من دروس العروض التي كنت أهرب منها في الجامعة. في العامية تسيطر علي مشاعر وصور مستمدة من داخلي، من جماليات وصور وموسيقى. أذكر مرة انني كنت في سفرة للأهوار في جنوب العراق ومرت قربنا زوارق (مشاحيف) فيها نساء. وسألنا عن اتجاه المنطقة التي كنا نبحث عنها فأجبن بلهجة فيها موسيقى، هذه الموسيقى هي شعر، والعامية التي أنا على احتكاك معها، وهي لهجة أهل العمارة جنوب العراق، فيها موسيقى خاصة، حتى في الأسماء عندما تصغر عندهم تكون (صويحب) و(جويسم) وهي صاحب وجاسم، نجد موسيقى وسهولة في النطق وهذا أثر بي بشدة.

- المصدر: جريدة الشرق الأوسط - لندن
يوم الجمعة ٢٩ أكتوبر ١٩٩٩م
العدد رقم ٧٦٤٠

مظفر النواب وحرارة الشاعر

بقلم الأستاذ الشاعر: عبدالكريم الناعم

الكلام عن مظفر النواب سهل بقدر ما هو صعب، سهل لإتساع المساحة، وصعب لاتساعها أيضاً، وإذا أردنا الخروج مما يقترب من مناخات الشعر لمناخات الالتفات الى التفاصيل في اللوحة، فإننا نتوقف أولاً عند مسألة الشهرة والشعر.

في هذه المسألة، وكما هو معروف، ثمة شعراء كانت لهم من الشهرة ما هو أكبر من حجم ما لهم من الموهبة، وثمة مغبونون، عندهم من الشعر أضعاف أضعاف ما لهم من الشهرة، حتى لكأننا أمام حقيقة أن الشهرة حظ، أما مظفر النواب، فقد نال من الشهرة مجداً يغبطه، أو يحسده عليه الآخرون، بيد ان في شهرته ما هو دون بنائية شعره، ووهج ذلك الشعر، وروحيته، إذ أن شهرته، في قسم منها، انبنت في الغالب، على ارتفاع الموج للخطاب السياسي، وللموقف النضالي المعروف في حياة النواب، ولا غضّ، ولا استصغار، غير أن ذلك طغى، او سمح بإخفاء ما هو أكثر ألقاً، وحيويةً، وإبداعاً.

شهرة لم يقترب من ذروتها إلا القليل، من حدود ازدحام الجمهور في الطرقات لسماع (إنشاده).. وحتى تملك شريط الكاسيت، ولئن كان قد أخذ على عاتقه، بإحساس جمعي غامر أن ينطق سياسياً وطبقياً وعروبياً باسم الملايين الكادحة المظلومة المنتجة، بطريقة وأسلوب خاصين،.. ولئن كان حضوره على المسرح في الإلقاء، أو في شريط الكاسيت ذا روعة نادرة. فإن هذا ليؤكد صميمية التفاعل، والتعبير، والتحمّس حتى (الشتم)، وهو في هذا وفي غيره، لا يساير الجمهور بل يحمل مرارة أحاسيسه بصدق عال، وقليلون جداً هم الذين دفعوا الثمن الذي دفعه من أجل مبادئه التي يحمل.

كثيرون هم الذين يحملون الأفكار والمبادئ التي آمن بها مظفر النواب، غير أنه وحده وقف فوق تلك الذروة، مما يؤكد أن لطريق القول، والصياغة الفنية بمجملها، إضافة الى حياته، سحراً خاصاً طافحاً بالإبهار، وبالفريد المتميز.

يتوقف الكثيرون عند محطة الصراخ من الألم، أو رفع نبرة الصوت بغرض التعرية، كعملية تفاعل، أما عشاق الشعر، عشاق الإبداع، فإنهم يتوقفون عند الصياغة الجميلة العالية، صورةً، وشفافيةً، وتعبيراً، وغنائية، في القصائد الحاملة لهمّ هذا الوطن والأمة، وفي تلك التي لا تقال إلا بمرافقة وتريّات الروح، وعلى كأس يختصر الأمداء، والنبض، والتوق بقدر ما يوقف صاحبه على حد سكين.

هنا، لا البوح بالاسم، ولا المجاهرة بالجرح هما ضفتا الطريق، بل ثمة شيء أعمق في الروح/ الغنائية/الذوبان/الإحتراق/ المشبع بحنين صوفي من نوع خاص/الملامح المبثوثة في الألوان، في المفردة، في الصورة، والعشق الجارف حتى التماهي/المقطوع حتى الإفتراق.

عوالم من الخلق ينشأ بعضها إثر بعض بعكوسات فيضية تأخذ شكل العناقيد الكثيرة المدلاة في شجرة الكرمة، مع محافظة على بذاخة الإيقاع الشعري (الوزن القوي)، ترافقها اختراقات محمولة على طبق الوعي من غير لواذ بمسوّغات غير بصيرة، تتراوح -في محطة التدقيق- بين المباشرة التي تتخلى عن ثياب الفنية لصالح مضمون الخطاب التحريضي، و: تحطيم إيقاعية الوزن، و: صياغة عوالم لغوية خاصة.

كلمة أخيرة في هذه الشهادة العجلى، أقولها باختصار أن مظفر النواب واحد من أهمّ شعراء الحداثة، ومما يتوقف عنده أن الاهتمام بدراسة شعره لم يقترب قط من حدود شهرته، ولسنا ندري متى يُنصف مع غيره، بعيداً عن تجمعات التطويب والتكوكب الذي يحتاج الى كثير من النزاهة وجرأة الضمير.

- المصدر:

كتاب "مظفر النواب شاعر المعارضة السياسية"

المؤلفان: عبدالقادر الحصني وهاني الخيِّر

دار المنارة-دمشق

الطبعة الأولى ١٩٩٤م

شهادة عابرة في شاعر ليس عابراً

بقلم الأديب الشاعر: علاء الدين عبدالمولى

مظفر النواب شاعر ظُلم كثيرا، وقد ظلم نفسه بيده أحياناً، فيما يتعلق بتأخّره الطويل في نشر أعماله الشعرية بشكل كامل، فالذي يرغب في قراءة الشاعر ليتخذ موقفاً نقدياً لا تكفيه قراءة ديوان(وتريات ليلية) وقصائد متفرقة نشرت هنا أو هناك.

النواب لديه كمّ لا بأس به من القصائد التي تنتظر أن تجد سبيلها الى النقد. وهذا حق طبيعي إن لم يطالبنا به الشاعر، فشعره يطالبنا. خاصة وأنّ (قصيدة الكاسيت) -الشكل المعتاد لاتصال القراء بشعره- خلقت، وهي تخلق آراء شائعة قد يكون بناؤها قائماً على عدد من الأوهام. فيقع هذا الشعر أسير الانطباعات العابرة سواء في ذلك من أحبه كثيراً أو استاء من ه كثيراً. لاسيما فيما يتصل بعلاقة شعره بالسياسة. حيث أشيع أن النواب شاعر سياسي وهجّاء لاذع، وهذا في نظري تقزيمٌ غير مقبول لشعره، حين نُخضع هذا الشعر لمجهر النقد الذي لا يكترث بما يشاع هنا وهناك. فالناقد سيرى في شعر النواب مساحات واسعة وعوالم متداخلة تشكل كلّية هذا الشعر مساحات تنتظر من يحرثها ليطلع منها البذور الأولى التي أسست فيما بعد كلّية هذا الشعر، نحن هنا لا نريد ان نسيء الى النواب في اللحظة التي ندّعي فيها رغبتنا بتقويم شعره نقدياً. فلا نقول إن النواب ليس شاعراً سياسياً، بل نقول: إن الشعر بما هو فعالية إنسانية جمالية تهدف الى رفع الإنسان الى مستوى الجمال والاستقرار، يلتقي مع السياسة بمعناها الشامل وربما هي فعالية تنشغل بحياة الانسان وتحقيق أمله وفرحه. بهذا المعنى لا يكون شعر النواب وحده سياسياً، بل أي شعر في العالم، بل أي كائن حضاري هو في عمقه كائن سياسي. ومن دلالات علاقة شعر النواب بالسياسة بها المعنى اننا نجد في قصيدته مستويات عديدة، وعوالم مختلفة تشير الى شمولية النظرة عنده. وهو نفسه مدرك لذلك. فنجده يشير في مقدمة أكثر من قصيدة (على الكاسيت) ان هذه القصيدة مزيج من الحب والأرض والثورة والتراث والجنس. كل هذه العناصر مجزأة كما نوردها نحن، بل تأتي هكذا موجات عريضة تتلّوى متناغمة فيما بينها بكل اختلافاتها الحركية واللونية، فمثلاً -وعذراً لهذا التبسيط- تجد في قصيدته (جسر المباهج القديمة) أن بحّار البحارين، وهو الإنسان الذي يشكل محور القصيدة يقوم برحلة في البحر بحثاً عن البصرة، فيتعرض في سفره لمواقف مأساوية، لا تختلف في النظرة الأخيرة عن مواقف المأساة بمعناها اليوناني القديم، تتكالب عليه القوى جميعاً (بحارة خونة ، طبيعة قاسية ، آلهة مشغولة بأمجادها ، سُلطة) لتمنعه عن حلمه وغايته أي (البصرة) التي هي رمز الإنسان الباحث عن غاية وجوده وعذابه، وعندما يسأل البحّارُ عن البصرة يقال له: لا يوصلك البحر الى البصرة. ويكتشف في النهاية أن (بصرته) ساكنة فيه. وهذه حقيقة الإنسان المناضل البحّار الشاعر ليس في حاجة الى جسور، إن هدفه ووسيلته شيء واحد، وهو جسر ذاته، مدرك هذا عندما نرى كيف يتحد العالم كله بالذات في لحظة صوفية تُضمر في داخلها كلَّ العناصر بما فيها السياسة. أليست رحلة البحار وصراعه وألمه وهدفه أليس كل ذلك داخلاً في لبّ السياسة؟

أما هجائيات النواب وشتائمه المبتذلة، فلا أرى ذلك إلا بُعداً آخر من أبعاد التجربة الشعرية الشاملة للنواب. تلك التجربة التي تشكلت على أرضية حساسية جادة يمتلكها الشاعر -وكل شاعر- في تعامله مع الكون وفساده وظلمه وحبه وفيما أعتقد أن الشاعر عندما يشتم بأية طريقة يشاء، ليس من حق أحد أن ينظر الى شتيمته على أساس موقف أخلاقي. وإلا فأي أخلاقي هذا الكون الذي يدمر الشاعر كل دقيقة؟ إن قبح الكون المريع الذي يستبصره النواب، يدفعه الى التفكير بالكون بشكل جمالي. لكن هذه الصّبوة للجمالي تصطدم بكل هذا الدمار والعنف والحرب، فيشتم الشاعر معوقات وصوله الى الجمال، فأنا لا أبالغ بالتمسك بالجميل إلا إذا واجهتُ البشع المخيف وأحسستُ به من الداخل وشتمتُهُ عندما نقول إن النواب (شاعر بذيء) لا نكون بذلك في مقام النقد، بل في مقام الأخلاق وقانون العيب. أجد أنه ينبغي القول إن النواب جميلٌ حتى في شتائمه. وهو القائل: (ولست بذيئاً ولكنه القيء قد وصل الحنجرة).

إن الفضاء الشعري للنواب يحتاج الى عمل نقدي كبير ولا يستوفيه شهادة عابرة. فالنواب ليس شاعراً عابراً. يجب ان يعمل الناقد على البحث عن صوفية شعره وطفولته التي أسست فيه حس الاقتلاع والنفي الى الأبد. والبحث عن علاقة شعره بالرسم واللون، علاقته بالتراث الشيعي والديني بشكل عام. وأخيراً البحث عن تميز الشاعر في تجربته. هل نعاهد أنفسنا على القيام بذلك في دراسات قادمة؟ أرجو ذلك.

- المصدر:

كتاب "مظفر النواب شاعر المعارضة السياسية"

المؤلفان: عبدالقادر الحصني وهاني الخيِّر

دار المنارة-دمشق- الطبعة الأولى ١٩٩٤م

مظفر النواب.. شاعرية أصيلة

بقلم الأديب الصحفي: هاني الخيِّر

الشاعر العربي الكبير مظفر النواب -وهو من مواليد بغداد جانب الكرخ عام ١٩٣٤- حالة شعرية متميزة واستثنائية في خارطة الشعر العربي المعاصر، له تفرده، وطلقاته الشعرية النافذة، بل وصراخه الحاد المتوتر في وجه الأشرار وأصحاب الضمائر الميتة الذين باعوا أرواحهم للشيطان الرجيم، لقاء مكاسب آنية هزيلة، لذلك فالمقطع الشعري عنده، يتحول الى سكاكين حادة، تمزق الأقنعة وتكشف الزيف أينما وجد...

ومن هنا يستطيع القارئ -وإن يكن لبيباً أو حصيفاً- أن يميز شعر مظفر النواب، ويتعرف عليه من خلال آلاف الأصوات والقصائد الشعرية، التي تطل علينا هنا وهناك...

ولا غرابة في ذلك.. فإن شاعرنا الموهوب، امتلك ناصية اللغة وراح يعمل تشكيلاً ونحتاً بالمفردات والمعاني العميقة، فتواردت الصور الشعرية المبتكرة الى ذهنة، الذي يحمل هموم وطموحات أمته العربية، فكان الناطق الجريء، باسم البسطاء.. باسم المقهورين.. والمعذبين.. والمطاردين في المطارات، والموانئ الجبلية، وكان أيضاً الرائد الأمين.. ولسان حال السجناء (سجناء الضمير) في معتقلاتهم الموحشة السيئة السمعة، وصديق المرضى في غرف العناية المشددة، حيث الوقار والصمت، وترقب ملاك الموت الطاهر.

نعم إن الشعب العربي يقرأ بأذنيه -كما قال لي الشاعر الأستاذ نزار قباني- وهذا يعني أن الأمية ما تزال سائدة في حياتنا العربية.. أي أن هناك شريحة واسعة من المواطنين العرب السعداء، لا تعرف القراءة والكتابة!! فكيف يصل الشاعر إليهم؟ من أجل إيقاظ ضمائرهم وأحاسيسهم الوطنية ومشاعرهم القومية الحبيسة، لا على المستوى الفردي العابر بل على المستوى الجماعي؟

و"ربّ رمية من غير رام" -كما يقول المثل العربي القديم- لذلك فإن ملايين العرب.. من رأس الخيمة، حتى رأس الناقورة في لبنان، مروراً بوهران، وانتهاء بالرياض في المملكة العربية السعودية، راحوا يتداولون شرائط الكاسيت التي تحمل قصائد مظفر النواب ويستمعون إليها في سهراتهم ومجالسهم الخاصة، بشغف واهتمام، ثم يخفونها في مكان أمين خشية أن تقع في أيدي الغرباء..

وهكذا استطاع النواب أن يصل بشعره الى الجمهور (المتلقي) سواء أكان يجيد القراءة أم كان أمياً!!

يتجلى في شعره حب الاستغراق في المعاني، والتحليق بالأخيلة، والتأنق الموسيقي في الألفاظ، كل ذلك يصدر عن شاعرية أصيلة، نهلت من القرآن الكريم، ومن روائع كتب التراث العربي، وعيون الشعر العربي الخالد.

وهو في سلوكه الحياتي، مثالاً لعزة النفس وشرفها، لم يقبل من أحد صلة مالية، ولا جائزة معنوية، وابتعد عن السقوط في فخ العسل، فخ المديح الإنشائي...

وبكلمات قليلة.. لعله أعمق الشعراء العرب المعاصرين إحساساً، بالغربة والضياع، والنفي والتشرد والمطاردة. لا يعرف الاستقرار في مكان.. ينتقل من بلد الى آخر، ودمه على كفه -على حد تعبير الدكتورة حميدة نعنع- ويظل مرتاباً من كل ما يدور حوله، حتى تتأكد له الصورة التي يجليها ببصيرته النافذة المتوترة.

- المصدر:

كتاب "مظفر النواب شاعر المعارضة السياسية"

المؤلفان: عبدالقادر الحصني وهاني الخيِّر

دار المنارة-دمشق

الطبعة الأولى ١٩٩٤م

"الصوت والصدى"
مظفر النواب وحضوره في فلسطين

صدر في الأراضي الفلسطينية مؤخراً كتاب "الصوت والصدى.. مظفر النواب وحضوره في فلسطين" للكاتب الفلسطيني الدكتور عادل الأسطة أستاذ الأدب والنقد في جامعة النجاح الوطنية.

وأشار الأسطة خلال ندوة نظمها منتدى الفكر الديمقراطي في جامعة النجاح بالضفة الغربية وخصصت لهذا الكتاب وأشعار مظفر النواب وأعماله الأدبية بأن كتابه يعتبر الثالث الذي يتناول أشعار النواب، حيث كان سبقه باقر ياسين بتأليف كتاب صدر في دمشق تحت عنوان "مظفر النواب أدبه وشعره" في حين ألف الكتاب الثاني الكاتبين عبدالقادر الحصين وهاني الخير وصدر في العام نفسه الذي صدرت فيه الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر العراقي مظفر النواب عام ١٩٩٦.

ووصف الكتابين بأنهما رائدان في التعريف بالشاعر مظفر وانتاجه الفكري والأدبي.

وبحث المؤلف في كتابه "الصوت والصدى" الذي جاء في أربعة فصول نصوص الشاعر مظفر النواب وتأثيرها على الشعراء الشباب وانعكاسها في أعمالهم، كما تناول المجموعات الشعرية الأربعة التي صدرت للشاعر مظفر النواب في فلسطين، إضافة الى ما كتبه بعض الكتاب والشعراء الفلسطينيين ودراسات حول شعر النواب ونشرت في الأراضي الفلسطينية.

وأشار الى الثنائيات في شعر النواب موضحاً انه يقسم الشخوص الى قسمين: فريق الثوريين في جانب تقابلهم في الجانب الآخر مجموعة المستبدين، كما تناول مؤلف الصوت والصدى الرموز التراثية في شعر النواب.

ويرى الدكتور عادل الأسطة ان النواب من أكثر الشعراء العرب توظيفاً للرموز التراثية موضحاً ان عدة دراسات عربية صدرت وتحدثت عن التراث من دون أن تأتي على ذكر النواب مثل دراسة علي عشري زايد والدكتور إحسان عباس، وخالد الكركي الذي قدم نموذجين أو ثلاثة من نماذج مظفر النواب في التراث، وهذه جرأة يستحق الكركي الثناء عليها.

وأضاف: من خلال قراءتي لمظفر النواب لاحظت ان هناك تشابهاً بين عبدالرحمن منيف في "شرق المتوسط" ومظفر النواب في بحار البحارين "جسر المباهج القديمة" وكذلك تشابهاً بينه وبين "الأقدام العارية" لطاهر حكيم و"البدايات" لتوفيق زياد و"دفاتر فلسطين" لمعين بسيسو و"اعترافات كاتم صوت" لمؤنس الرزاز، حيث تتمحور معظم هذه الأعمال حول المعارض السياسي، القمع والسجن الذي يلقاه هذا المعارض وكذلك المساومة والبراءة من الحزب والسير في ركب الأحزاب الحاكمة.

وأضاف ان النواب يسرد في قصيدته بحار البحارين قصته الذاتية التي يوردها في أكثر من قصيدة موضحاً ان الشاعر هو بحار البحارين -الثوريين- الذين يحملون من الأسماء (القبطان، السياب والمصنوعون من الجوع) مقابل فريق المستبدين الذين يرمز النواب لهم بأسماء مختلفة مثل (حزب المخصيين، أولاد الوسخ المتروك، الكهان، الطبقات المرموقةالخ).

ويجزم مؤلف الصوت والصدى ان الشاعر مظفر النواب يعتبر الأكثر ثباتاً على مواقفه التي عبر عنها في قصائده مقارنة بالكثير من الشعراء الذين غير بعضهم مواقفه ولجأ آخرون لإستثناء قصائد كتبوها في مراحل سابقة من دواوين شعرية نشرت لهم في أوقات لاحقة. وقال "قمت بالتمعن في أشعار النواب وقصائده لا تثبت من ثبات الشاعر على مواقفه وقارنته بالشاعرين محمود درويش وسميح القاسم واكتشفت انه أكثر ثباتاً منهما، فسميح القاسم حذف القصيدة التي تندد بإتفاقيات السلام، أما الشاعر محمود درويش فلم يدرج قصيدته "أنا الآخر" و"عابرون في مكان عابر" في أعماله الكاملة.

وبحث أستاذ الأدب والنقد في جامعة النجاح تأثير أشعار النواب على شعراء الأراضي الفلسطينية موضحاً ان الشاعر الفلسطيني كان قد سبقه في دراسة ذلك.

وأضاف: "لاحظت ان مظفر النواب كان له تأثير كبير على شعراء الأراضي المحتلة خاصة الشباب منهم وقال ان النواب يعد الشاعر الذي طور قصيدة الشاعر الفلسطيني المعروف عبدالكريم الكرمي".

ووصف الدكتور عيسى أبو شمسية أستاذ الأدب العربي في جامعة بيرزيت كتاب "الصوت والصدى" بأنه إضافة جديدة للأدب والمكتبة الفلسطينية موضحاً ان حضور النواب في فلسطين كان واضحاً خلال مرحلة السبعينات لكن حضوره وتأثيره بدأ يتراجع في العقد التالي - الثمانينات.

ورأى أن الأسطة تنقل في دراسته بين أكثر من منهج بحثي وركز على مضامين الكلمات الواردة في النص والتغييرات الحاصلة عليها مشيراً الى ان تركيز الكاتب هذا كان واعياً ومقصوداً لإظهار دلالات المضمون.

- المصدر: جريدة الزمان - لندن
  العدد ٤٧١
  يوم الخميس - ١٩٩٩/١١/٤

متى تنتهي المنافي؟

مظفر النواب شاعر أرهقه التحديق

بقلم: كريم نعمة - طرابلس

هو أحد أولئك الذين يذرفون الدموع بلا رادع..! لأن حياته منطق المأساة العراقية "عبرنا المأساة الإغريقية منذ ان أفرغت الشاحنات حمولتها الزائدة دون أن تعيد الدموع الى مآقيها" كلما أرهقه -وأرهقنا- التحديق في تلك الأبهة الضائعة.

في بروكسل أهدر مظفر النواب دموعه في مساء بارد، حينما أهداه نصير شمة مقطوعة موسيقية مليئة بالأحاسيس المتفجرة، وفي مساء اليوم الذي لم ينته بعد..!؟ اتشحت القصيدة برداء الأحزان العظيمة، فصرخ النواب:

عند الفجر

صاح غراب البين

ثلاثين بأذني

او ما تكفيك

غراب البين

ثلاثين!؟

وهذه "الثلاثين" في شعره سر مربك ووضوح أخاذ، إلتياع، تكرار لا يتكرر، فهو لم يزل يحتمي بقوة الكلمات وهيام الجغرافيا، وفي شكل يعبث بمقاييس الأشياء لكي تبدو بلا قناع مثل كل الشعراء.. الشعراء، آه من الثلاثين في شعره..!

عمر وأتعدى الثلاثين

لا يفلان

عمر واتعدى واتعديت

لا طارش كذب وديت

وفي دمشق إنهارت دموعه أيضاً "أدى نشر خبر صغير في إحدى الصحف عن أمسية الى ازدحام في الصالة دفعني للبكاء أمام الجمهور"، وفي ألمانيا حيث يوجد عدد كبير من الجالية العربية، اضطر مدير دار الثقافات الى النزول الى المسرح والتمني على الجمهور الذي لم يجد مكاناً له العودة في اليوم الثاني، وذلك بعد ان طلب منه إحياء أمسية إستثنائية أضيفت على جدول الدار، وكان الألمان مذهولين بحق مما جرى في تلك الأمسية.

فمتى يكف هذا الطائر النائح عن البكاء؟

ولم نطلب ذلك! أليس هو من بين أولئك الذين يطرقون بوابة الدموع، بوابة بغداد؟

منذ كنا صغاراً، كنا نهمس بقصائد هذا الشاعر ونجهل سر تكوينه، غير أنا نشدو مع صدى المواويل التي لا تكتمل إلا بعد أن يضعضع السكر روحها، كذل هي ترانيمنا المقدسة الحزينة آنذاك "كم بقي منها؟" ليل البنفسج، الريل وحمد، زرازير البراري.. متشعة بصدى القطارات والليالي المقمرة.

في جانب آخر كنا نحن الصغار نردد "وترياته الليلية" بخوف في بلاد ما كنا نعرف أنها لم تعد تعرف السلم مرة أخرى، إلا بعد أن تغرق في لجة الدماء البريئة.

وقصائد مظفر النواب تنم عن طراز غير هياب من أن يظهر منها شيء من الحمق والسخرية وهو ينزع سلاح الإختيار، كان قادراً على أن يدرك جوهر الحياة في مواجهة الهزيمة قبل مواجهة الموت "لا يسعني إلا أن أكون ساخراً في كتاباتي، ذلك ان السخرية هي واحدة من أدوات تعدية الأشياء وفضحها على حقيقتها، أستعمل في قصيدتي كل المواد التي تخدم الموضوع، فالقصة والسخرية والشحن وإثارة العواطف.. كلها أدوات أوظفها في بناء هندسي محكم للقصيدة".

مع أن ثمة تساؤلاً طالما يتردد عن شتائم لاذعة تكتشف قصائد النواب، هل فقد الشعر أصدته بالروح لينساق الى الغضب والتجريح، ومظفر النواب لم يقل بأن الشتائم أفضل لغة سياسية:

-قلت الشتائم هي احدى الأدوات التي يمكن استعمالها، لكن بدقة، ذلك انها تستعمل عبر صورة مبنية جداً بهدف محارة البذاءة، وليس لترويجها، في التاريخ العربي القديم والمعاصر، هناك أقوال وأشعار مقذعة جداً كان قد استخدمها قادة عالميون، أجهل سبب التخوف من استعمال مثل هذه المفردات التي من شأنها ان تخدمني كثيراً في إيصال رسائلي الى من أشاء وبالطريقة التي أريد، في المقابل، أعلم جيداً أن هناك بعض الأوساط التي تسعى الى ترويج فكرة انني شاعر ذو لسان بذيء، أو شاعر لا أخلاقي، وهنا المفارقة إذ تحاربونني بالكلمات نفسها التي أحارب بها أمثالهم.

مع ذلك تبقى نصوصه في كل الأحوال مغامرات لها صلة خفية وغير قابلة للفهم دائماً، بما عانيناه في الحياة وما ساورنا من أحلام اغتيلت بقسوة، وكيف انقلب كل شيء آخر الأمر الى أوهام حزينة، لا ندري أمن الصواب أن نعاود إجترارها، أم نتعقل ونرجع القهقرى، وبالنسبة له يعتقد ان الشعر الحقيقي المؤثر هو الذي يستند الى تجربة كبيرة، وعندما يفكر في العطاء، إنما يلمس جرحه الذي هو ذاته جرح كل مواطن عربي، فالتوحد في الأحاسيس بين الشاعر والجمهور أمر ضروري جداً "من المؤسف ان هذا الأمر بات يتقلص يوماً بعد يوم عند كثير من الشعراء، ويتجه بالتالي نحو الأنانية والفردية والإنكماش".

لاشك في أن الإحباط العام المسيطر على الشعوب العربية -يقول النواب- له تأثير في تردي الحالة، وهذا الإحباط دفع بالشاعر الى الانكماش نحو ذاته، حتى أن عدداً كبيراً من الشعراء بات يعاني اليوم عقدة النرجسية، انها خطوات متسلسلة الواحدة منها تؤدي الى الثانية.

-أهكذا تقع تصفي الحساب مع الزمن الذي فاتنا دون أن نحياه..! فمظفر النواب يلعب لعبة المسافر في المكان "صحيح أنني تغربت عن العراق، الا انني كنت أنقل وطني معي الى أي مكان أحل ضيفاً فيه".

وكل من إلتقاهم وسألهم عن عراقه؟ قالوا: لا تسأل أبداً عن العراق، لو عدت إليه اليوم لن تعرفه أبداً، كل شيء فيه تبدل، تغيرت المدن والناس والأخلاق والعادات والأمكنة. وفي كل مرة يسمع عن مأساة جديدة في العراق ينتابه احساس شديد بالإختناق، فيصب جام غضبه في قالب شعري يولد من صلب المعاناة.

المكان يحتفي بمظفر النواب، في طرابلس حيث يؤمها كثيراً، لن يمر شهر دون أن تعيد اليوميات الصحافية وبرغبة أشد "وترياته الليلية"، يرددها الناس هنا منذ عشرين عاماً، رغم أن مثقفي البلد يأخذون عليه بشدة عدم إلمامه بالمشهد الثقافي الليبي، وفي دمشق التف حوله المغتربون الجدد، فكتب مسرحيته المتساءلة "العربانة".

لكن الى متى تتوقع ان تستمر في ترحالك؟ -تسأله رولا عبدالله- : أنا لست رجلاً حزبياً لأغوص كثيراً في قراءة الأحداث، ولكن حدسي يخبرني أن ثمة شيئاً كبيراً وخطراً يتم التحضير له، أجله شخصياً هذا الشيء، الا أنني على ثقة بأن شعبنا قوي وقادر على أن يؤسس لحركة تغيير في المجتمع تأخذه مكانها، حينها تنتهي المنافي ويعود كل مشرد الى دياره.

ولم تنتابه يوماً لحظة تشاؤم، على الرغم من التجارب القاسية التي مر بها، عنده ثقة بأن الأوضاع يمكن أن تنقلب في لحظة من وضع الى آخر، مع أنه يتعجب كيف أننا مهووسون بالديمقراطية!

بينما الحقيقة تخبرنا أنه لا يوجد أي بلد عربي ديمقراطي بالمعنى الفعلي للكلمة، هناك شكلية ديمقراطية تصبح هشة عندما يغضب "المسؤول"، وينتج الغضب تطاير رؤوس معظمها من الأبرياء والشرفاء.

ويظل مظفر النواب شاعر الفقراء لأنه لا يلتفت لجوائز الشيوخ العشوائية ولا يتمناها، لأنها ليست إلا بهرجة ومباهاة تقدمها هيئات غير معنية بالأدب، وحصل مراراً ان رفض تكريم هيئات رسمية، إلا أنه يعتبر تكريمه الأخير من قبل المؤتمر الدائم لمقاومة التطبيع الأكثر صدقا لأنه نابع من الشعب كعرفان جميل لما قدم.

حاشية: آراء الشاعر استلت من حوارات صحفية منشورة.

- المصدر: جريدة الزمان - لندن
  العدد ٣٥٩
  يوم السبت - ١٩٩٩/٠٦/٢٦

مظفر النواب في برلين

أنشد.. وغنى.. وبكى.. وصفقنا له كثيراً

بقلم: عماد عبود - برلين

بدعوة من نادي الرافدين الثقافي في مدينة برلين الألمانية، أقام الشاعر مظفر النواب في قاعة "دار ثقافات العالم"، أمسية شعرية بمرافقة الموسيقار الفنان يوسف ديبو، حيث قرأ الشاعر مجموعة من قصائده بالعربية الفصحى بالإضافة الى مجموعة أخرى من قصائده التي نظمها باللهجة الشعبية العراقية.

(الزمان) تنقل فعاليات هذا الحفل الثقافي الذي تُوّج بأنين الغربة مجسداً مظفر النواب أحزانه شعراً وحباً للوطن المكبل بالجراح.

لقد كان النواب في هذا الحفل شاعراً وإنساناً فبكى.. وغنى.. وأنشد.. وصفقنا له كثيراً.

غصت قاعة دار ثقافات العالم في برلين بجمهور كبير من المثقفين المهاجرين من العراقيين والعرب، فقد جاءوا ليستمعوا الى أحزان شاعر داهمته الغربة سنين حياته فرسمت على قصائده ينابيع احتجاجات ثورية نازفة من يقين انسان لم يبع نفسه او قلمه لحاكم، بل جعل من ابياته رصاصات موجهة ضد الدكتاتورية والعسف.

مظفر النواب.. الشاعر.. المهاجر.. الانسان الذي ظل يصرخ ويصرخ في كل مرة بوجه الطغاة معلناً ان الوطن يسع للجميع وان قصائده ستبقى شامخة مثل النخيل، لكنه مع كل هذا الصراخ المدوي عالياً، تلمح فيه أحزان الغربة المتوغلة في الأعماق، قد يكابر أحياناً دون أن يفصح عما يجيش في نفسه، لكنه في نهاية الأمر هو شاعر وحزن الشاعر تفضحه الكلمات حتى لو حاول ان يكظم او يكبت، وهذا ما حدث في القاعة الكبيرة وأمام جمهوره المحب لشخصه وثقافته وقصائده حسن ألقى أحد الابيات الشعرية من قصيدة مطولة، كانت عيناه تدمعان بعد ان تذكر أهلنا الذين يحاصرهم الظلم والجوع من كل جانب، تذكر هموم الوطن وأوجاعه، فهو يقول: "دمعة حزن هي الماضي.. هي الام"، او يعلن بالقول "ذهب الزمن الطفل.. وأبقانا غرباء" ثم يذكر "قاطرتي كانت تذهب للبصرة.. تحمل حزني".

قصائد النواب تتوالى حتى تغرق القاعة برمتها في بحر من الشعر وتمتزج نفحات الحزن بالنفوس الحاضرة التي جاءت من مدن ألمانية بعيدة عن برلين او من برلين ذاتها، والشاعر يذكرهم بـ (البلاد التي تباع بلا ثمن) او بظلم الحاكم العربي الذي رسم لنفسه هالات من العبقرية والبطش في الناس.. فمتى.. (تستريح من الحاكم العربي المفدى.. واكل الشعير..). في هذا الحفل كشف مظفر النواب أحزان المهاجرين بعد ان تركوا خلفهم مأساة الجوع والقهر التي ما زالت تطوق أهلهم هناك، فقد تغلغلت أشعاره في تلك الدواخل تعلن انه الصوت الجريء الذي ما يزال كما بدأ، صوت لا يتوقف عن اشهار قولة الحق وهو يعرف تماماً ان الشعر انتماء وتاريخ ومبدأ، كما انه لا يريد ان يتخلى عن مسؤوليته كشاعر آثر ان تكون قصائده برنامجاً يعبر من خلاله عن الأمة المشققة، الضائعة، المقهورة، التي نالت من الظلم ما نالت، انه ير يد ان يقول للجميع ان سبب مأساتنا الكبيرة هي السياسات كما انها أسباب كل المحن، انه يفور في خلجات النفس العربية ويمارس حقه كمواطن عربي يحق له ان يشهر آراءه او حين تتجلى قصائده وهو يكشف هول المحنة العربية بمفردات بسيطة يفهمها الجميع، أليس هو الأكثر معصية للحكام والأكثر قدرة في التوصيل، وهذا ضمان أكيد للقيمة الفنية في أشعار مظفر او في تناول موضوعاته واختياره لها.

لم يكن هناك بين جمهور الحضور والشاعر سوى الاندماج الفكري والروحي، فقد أحب الشاعر التعبير الحقيقي عما يجول في خواطر الجمهور، كما أحب الجمهور شاعرهم لأنه استطاع ان يقول ما يعجزون الافصاح عنه، فهذا ما حصل بالفعل خلال الأمسية.

ان جمهور النواب يعرفون ان شاعرهم لا ينحني لحاكم وليس بينه وبين الحكام الا شرخاً متجدداً على مدى تاريخه الأدبي الذي شهدت له الساحة الثقافية العربية أينما حل أو ذهب لينشد المحظور من الشعر، هذا الشعر الذي يعد وثيقة لمجتمع محاصر قتلته الهموم وملاحقة السجان وممارسات الجلاد اللا إنسانية بحق أبناءه، وهذه المرة يصرخ الشاعر أمام جمهور الحاضرين معلناً من خلال احدى قصائده انه يأبى الذل، ويرضى بنصيبه في هذه الدنيا وانه طير جريح في هذا الوطن، فلنستمع الى ما يقول في صرخته:

.. املأها علناً مولاي..

فما أخرج من حانتك

الكبرى إلا منطفئا.. سكران..

أصغر شيء يسكرني

فكيف الإنسان..

سبحانك كل الأشياء رضيت

سوى الذل..

وأن يوضع قلبي في قفص

في بيت السلطان

ورضيت يكون نصيبي في الدنيا

كنصيب الطير

لكن سبحانك حتى الطير لها أوطان

وتعود إليها..

وأنا مازلت أطير..

فهذا الوطن الممتد من البحر الى البحر

سجون متلاصقة..

سجان يمسك سجان...

انه يرى ان تلك الأفراح التي عاشها العراقيون في الماضي والتي تحولت الى فواجع، لابد ان تعود يوماً حتى لو طال بها الزمن .

كما انه يؤمن ان الشاعر المبدع هو الذي يخرج شعره من خلف معاناة تلازمه، لا من خلف أجواء الترف والأموال التي يغرقون بها من قبل الحكام.

ومظفر النواب، الإنسان والشاعر عاش الإغتراب لكنه تحداه فالوطن عشق لا ينفصل عنه حتى لو أخذه قطار العمر، ولهذا فهو يقول "ما زلت كما بالأمس، ألوّح بالقلب لهم.."، أو يقول أيضاً:

.. خاطرة خلف زجاج الماضي

استهوتني..

غادرت اليوم..

وبعد العمر يتم وصولي

يتم وصولي..

وبعد كل هذه الأشجان الحزينة جعل من الإمام الحسين (عليه السلام) مثلاً أعلى له ولكل أصحاب الثبات الرافضين الركوع للطغاة.. فقد أنشد في قصيدته "في الوقوف بين السماوات ورأس الإمام الحسين" قائلاً:

.. قد تعلمت منك الثبات

ولم يك أشمخ منك

وأنت تدوس عليك الخيول..

الى أن يقول:

.. أم ترى جنة الله

كانت تريد إليك الوصول..

واقف وشجوني ببابك..

والى آخر القصيدة التي راح يصفق لها الحاضرون طويلاً والتي تناول فيها ان الامام الحسين (عليه السلام) يأبى بكاء الرجال.. مستعرضاً مآسينا في فلسطين والعراق:

.. أنت لابد يا رب

تغفر للكفر ان كان حراً أبيا

وهيهات تغفر للمؤمنين العبيد

وذلك فهمي

وأنت ضماني على ما أقول

هاهو شعب العراق

وقد رجلته سيوف الحصار وحيدا..

ويطول يزيد به..

الى ان يقول عن هذا الشعب الصابر الصامد:

".. ولم ألق مثل العراق.. كريماً خجول"

ومن قصائده الأخرى التي ألقاها في الأمسية قصيدة بعنوان "يوم من حياة بغي عجوز" وقصيدة أخرى بعنوان "فراشة" وفي هاتين القصيدتين رسم فيهما الشاعر حالات أخرى من أوضاعنا العربية الراهنة وبأسلوب شفاف وواقعي ورمزي أحيانا، فهو في قصيدته الأولى "نخبك سيدتي ما بعت سوى لحمك" يرى بأن هناك مم باع ما هو أغلى مما باعت هذه السيدة، هناك من ساوم على مصير وطن، او باع الوطن نفسه بما فيه من أجل ان يبقى هو والحاشية التي تحميه فـ (العالم ينقلب جرب).

ومن قصائده التي ألقاها في الأمسية قصيدة بعنوان "أوجاع حاتم آدم"، هذه القصيدة التي بكى فيها الشاعر بكاء الكبرياء، وأوجعنا وآلمنا، فهو القائل:

.. بدالة بغداد بها خرس..

ليس تردد وما من سبل..

او يقول:

.. سيدتي اني الميت جداً..

آدم..

كان هناك من يسأل عن آدم..

أو يقول:

.. او لعن الله الغربة..

آدم لا يملك شيئاً للرشوة..

او يقول:

يطعم جسده للدود

ولا يطعمه للأمن..

دمعة حزن هي الماضي..

هي الأم..

بعد ذلك قدم مظفر النواب قصائد رائعة من أشعاره الشعبية العراقية من بينها قصيدة "يا نهران أهلنا" وقصائد أخرى كقصيدة "جرس مدرسة بنات" وغيرها، وبصوته الرائع قدم "بوذيات" عراقية:

صاحبك يا صاحبك

لكن الف يا حيف

ما تعرف كدر صاحبك..

وكان قد قدم الشاعر مظفر النواب للجمهور الشاعر حمبد الخاقاني بكلمة ترحيبية جاء فيها:

ليس يسيراً ان تقدم شاعراً معروفاً مثل مظفر النواب لجمهور يعرفه ويغني شعره، لكن غبطة تولتني ساعتها إذ ان لي شأناً كبيراً مع شعره وما عليّ إلا ان أروي حكايتي مع هذا الشاعر:

تتلمذت بمعنيين مباشر وغير مباشر، كنت في مدرسة متوسطة الفجر للبنين في ضاحية محلة النواب بالكاظمية، وكان لنا حظ ان يكون هناك مظفر النواب وسعدي الحديثي وتلك نعمة، كان الإثنان الشاعر ومغني قصائده معروفين على الجانب الشعبي شاعرية النواب وشعره، كان الكثير من العراقيين يحفظون شعر النواب ويرددونه حتى في الشجن، فقد أعاد مظفر للقصيدة العراقية رونقها وزهوها، وقد مضى بالقصيدة الشعبية العراقية بأسلوب جديد غير مألوف نفث فيها من روحه حياة أخرى بعد سبات طويل، مع النواب لا مع غيره ارتقت القصيدة الدارجة الى الفصحى، فهي وليس كل ما كتب بالفصحى فصيحاً، وسرعان ما أصبح مدرسة في العراق، ولا أظن ان القصائد التي تكتب عندنا حتى اليوم على تنوعها قد خرجت من اسار مظفر وروحه، وكان "للريل وحمد" وهي القصيدة التي تغنى بها الناس، ولسعدي يوسف قولة تجسد "للريل وحمد.. ومظفر"، يقول بأنه يضع جبين شعره على أهداب "للريل وحمد"، ومن يعرف سعدي يدرك ما تنطوي له قصائد مظفر النواب.

وكان لنا نحن تلاميذ مظفر إلا ان نتتلمذ على يده وكانت تلمذتنا على ما أخذنا عليه، كان إيقاع قصائده غير إيقاع الشعر المألوف.

أنا لم أقرأ لشاعر لديه مثل ذلك الإحساس بجرس الكلمة ورنين الحرف مثلما هو الحال لدى مظفر، وهذا ما نجده في "وتريات ليلية" او "قراءة في دفتر المطر" وكثير غيرهما.

ويختتم الشاعر والناقد حميد الخاقاني كلمته بالقول:

لاشك اننا من دون مظفر وشعره أكثر فقراً، فدعونا نزدتد فخراً بمظفر وشعره.

- المصدر: جريدة الزمان - لندن
  العدد ٤٣٥
  يوم الثلاثاء - ١٩٩٩/٠٩/٢٣